



VOL : 8 NO: 2

Journal

of Islamic Studies & Thought for
Specialized Researches



Women between instinct in Islam and gender studies,
Manifestations of Tolerance and Generosity in the Maliki
School, Through the rule: "Taking into account the
difference", Gratitude in the Noble Qur'an and its effect on
blessings, Measures to Control the Understanding of
Sunnah and its Impact in Safeguarding the Muslim
Community from Misconceptions of Modernists and
Atheists

International Journal of Islamic
Studies & Thought for
Specialized Researches

All site materials including, without
limitation, design, text, graphics, and the
selection and arrangement thereof are
either the copyright of SIATS with ALL
RIGHTS RESERVED. Except as provided
below, reproduction of any
of the Content is prohibited.

Please visit www.siats.co.uk

الشكر في القرآن الكريم وأثره على النعم

Gratitude in the Noble Qur'an and its effect on blessings

د. نوال آدم إدريس جبريل

Researcher Name: Dr. Nawal Adam Edris Gibreil

المملكة العربية السعودية - جامعة حائل - كلية التربية - قسم الثقافة الإسلامية

nawaladam8@gmail .com

Received 09 | 02 | 2022 – Accepted 12 | 03 | 2022 – Available online 15 | 04 | 2022

Abstract

Gratitude, in the Noble Qur'an, is one of the important acts of worship mentioned. Allah Almighty has commanded his servants to give thanks and urged them in various ways. The problem of this research lies in: What is the effect of gratitude on blessings? What are the reasons that lead the slave to the status of a grateful slave? This research aims to: Identify gratitude, its occurrence in the Noble Qur'an and its types, and to explain the impact of gratitude for grace on the individual and society.

To analyse this research, inductive method in tracing the texts from the Qur'an and the analytical method are used. The researcher has found out a number of results, including A reason to increase blessings and preserve perpetuate is gratitude, and among the most important reasons for its demise is the denial and ingratitude of its grace and that the blessings of Allah are innumerable.

Keywor.ds: gratitude – the Qur'an – impact – blessings.

المخلص

الشكر من العبادات المهمة الواردة في القرآن الكريم وقد أمر الله تعالى عباده بالشكر وحثهم عليه ورغبهم فيه بأساليب متعددة، وتكمن مشكلة هذا البحث في: ما أثر الشكر على النعم؟ وما هي الأسباب التي توصل العبد إلى منزلة العبد الشكور؟ ويهدف هذا البحث إلى: التعرف على الشكر ووروده في القرآن الكريم وأنواعه وبيان أثر شكر النعمة على الفرد والمجتمع، واتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي في تتبع النصوص من القرآن والمنهج التحليلي لتحليل هذه النصوص، ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى عدد من النتائج منها: الشكر سبب لزيادة النعم ودوامها والمحافظة عليها، ويُعد كفر النعمة وجحودها من أهم أسباب زوال النعمة وانقطاعها، وأن نعم الله لا تعد ولا تحصى.

الكلمات المفتاحية: الشكر – القرآن – أثر – النعم.

المقدمة :

من المعلوم أن الله جل وعلا أسبغ علينا نعمًا كثيرة، ظاهرة وباطنة، ولم يزل يسبغ على عباده النعم الكثيرة ، وهو المستحق لأن يشكر على جميع النعم، والشكر قيد النعم ، إذا شكرت النعم اتسعت وبارك الله فيها وعظم الانتفاع بها، ومتى كفرت النعم زالت وربما نزلت العقوبات العاجلة قبل الآجلة .

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا الموضوع في أن موضوع الشكر من الموضوعات المهمة التي اهتم بها القرآن الكريم ولذلك أمر الله به وحث عليه ونهى عن ضده.

سبب اختيار الموضوع:

رجع سبب اختيار هذا الموضوع إلى أن النعم التي بين أيدينا تحتاج إلى حفظ ورعاية، فالتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالشكر على نعمه وآلائه يُعد سبباً في دوام نعم الله علينا وكذلك في زيادتها وبركتها.

مشكلة البحث:

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالشكر وحثهم عليه ورغبهم فيه بأساليب متعددة وألوان مختلفة في كتابه الكريم ومن هنا نبعت مشكلة البحث المتمثلة في الإجابة على الأسئلة التالية :

ما أثر الشكر على النعم ؟ وما الأسباب التي توصل العبد إلى منزلة العبد الشكور؟

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أهمية الشكر وأثره على النعم، وبيان فضل الشكر وجزاء الشاكرين من خلال النصوص الواردة في القرآن.

حدود الدراسة:

كان مجال الدراسة وحدودها النصوص الواردة في القرآن الكريم وما جاء فيها من الأمر والحث على شكر الله.

منهج الدراسة:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي في تتبع النصوص من القرآن والمنهج التحليلي لتحليل هذه النصوص.

هيكلية البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين: المبحث الأول: ورود الشكر في القرآن وأنواعه وتناولت فيه: تعريف الشكر وورد الشكر في القرآن وأنواع الشكر، والمبحث الثاني: الشكر وأثره على النعم، وتناولت فيه تعريف النعم ونعم الله لا تُعد ولا تحصى، وأثر شكر النعمة على الفرد والمجتمع، والأسباب التي توصل العبد إلى منزلة العبد الشكور، ثم الخاتمة وخلاصة البحث وأهم النتائج والتوصيات والمصادر والمراجع.

المبحث الأول: ورود الشكر في القرآن وأنواعه

المطلب الأول: تعريف الشكر

الشكر لغة : قال ابن فارس : (شَكَرَ) الشَّيْنُ وَالْكَافُ وَالزَّاءُ أَصُولُ أَرْبَعَةٍ مُتَبَايِنَةٍ بَعِيدَةٍ الْقِيَاسِ. فَلَاوُلُ: الشُّكْرُ: الثَّنَاءُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِمَعْرُوفٍ يُؤَلِّقُهُ. وَيُقَالُ: إِنَّ حَقِيقَةَ الشُّكْرِ الرِّضَا بِالْيَسِيرِ. يَقُولُونَ: فَرَسٌ شَكُورٌ، إِذَا كَافَاهُ لِسِمْنِهِ الْعَلْفُ الْقَلِيلُ. وَيُنْشِدُونَ قَوْلَ الْأَعَشَى:

وَلَا بُدَّ مِنْ غَزْوَةٍ فِي الْمَصِيفِ رَهْبٍ تُكِلُّ الْوَفَاحَ الشُّكُورَا

(الأعشى ١٤٩ ولسان العرب (شكر) (حجن) (غزا)).

وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ: (أَشْكُرُ مِنْ بَرِّوَقَةٍ) وَذَلِكَ أَنَّهُمَا تَحْضُرُ مِنَ الْغَيْمِ مِنْ غَيْرِ مَطَرٍ.

وَالْأَصْلُ الثَّانِي: الْإِمْتِلَاءُ وَالْعُزُّ فِي الشَّيْءِ. يُقَالُ: حُلُوبَةُ شَكْرَةٍ إِذَا أَصَابَتْ حَظًّا مِنْ مَرْعَى فَعُزَّتْ. وَيُقَالُ: أَشْكُرُ الْفُؤْمَ وَإِنَّهُمْ لَيَحْتَلِبُونَ شَكْرَةً، وَقَدْ شَكِرَتِ الْحُلُوبَةُ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: شَكِرَتِ الشَّجَرَةُ، إِذَا كَثُرَ فَيْئُهَا.

وَالْأَصْلُ الثَّالِثُ: الشُّكْرُ مِنَ النَّبَاتِ، وَهُوَ الَّذِي يَنْبُتُ مِنْ سَاقِ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ قُضْبَانٌ غَضَّةٌ. وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي النَّبَاتِ أَوَّلَ مَا يَنْبُتُ. قَالَ (رجز): حَمَمٌ فَرَّخَ كَالشُّكْرِ الْجَعْدِ.

وَالْأَصْلُ الرَّابِعُ: الشُّكْرُ، وَهُوَ النِّكَاحُ. وَيُقَالُ: بَلَ شَكْرُ الْمَرْأَةِ، فَرَجَّهَا. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ، لِرَجُلٍ خَاصَمْتُهُ امْرَأَتُهُ: "إِنْ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شَكْرِهَا وَشَبْرَكَ أَنْشَأْتَ تَطْلُهَا وَتَضْهَلُهَا". (Ibn Faris 3/207-208)

الشكر في الاصطلاح :

عرف بتعاريف كثيرة منها ما ذكره الجرجاني في تعريفاته بقوله:

الشكر: عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب، وقيل هو الثناء على المحسن بذكره إحسانه ، فالعبد يشكر الله أي: يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة ، والله يشكر العبد أي يثني عليه بقبول إحسانه الذي هو طاعته .

الشكر اللغوي : هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والأركان .

الشكر العربي : هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله (Jarjani /128)

المطلب الثاني : ورود الشكر في القرآن

المتدبر لآيات الله يجد أن موضوع الشكر ورد في القرآن الكريم في كثير من المواضع، فقد عني القرآن الكريم به عناية فائقة ولذلك أمر به وحث عليه بأساليب متعددة و نهى عن ضده وأثنى على الشاكرين من عباده ، ووصف به المتميزين من خلقه ، وجعله الغاية من خلقه وأمره ، ووعد الشاكرين بالثواب الجزيل، والفضل العميم ، وجعله السبب الرئيس للمزيد من فضله ، والحارس الأمين والمحافظ على نعمته من الزوال ، ولذلك وردت كلمة الشكر وما تصرف منها في القرآن الكريم في خمسٍ وسبعين آية (489-491) (Abdelbaki).

منها :

قوله تعالى: (فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) (سورة البقرة رقم 2، آية 152) قال ابن جرير الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: (وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: اشكروا لي أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم من الإسلام، والهداية للدين الذي شرعته لأنبياي وأصفياي (ولا تكفرون) يقول: ولا تجحدوا إحساني

إليكم، فأسلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها، وأزيدكم فأتم نعمتي عليكم، وأهديكم لما هديت له من رضى عنه من عبادي، فإني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته، ومن كفرني حرمته وسلبته ما أعطيته (Al-Tabari 3/212).

وقوله تعالى : (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) (سورة البقرة رقم 2، آية 243) قال ابن كثير: إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ، أَيِّ فِيمَا يُرِيهِمْ مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ وَالِدَّلَالَاتِ الدَّامِغَةِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ أَيِّ لَا يَقُومُونَ بِشُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ (Ibn Kathir 1/503).

وقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (سورة آل عمران رقم 3، آية 144-145) قال السعدي : (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) ولم يذكر جزاءهم ليدل ذلك على كثرته وعظمته، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر، فله وكثرة وحسنا (Saadi 150).

وقوله تعالى : (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) (سورة النساء رقم 4، آية 147) قال السعدي : ثم أخبر تعالى عن كمال غناه وسعة حلمه ورحمته وإحسانه فقال: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ) (والحال أن الله شاكِر عليم يعطي المتحملين لأجله الأثقال، الدائنين في الأعمال، جزيل الثواب وواسع الإحسان، ومن ترك شيئاً لله أعطاه الله خيراً منه (Saadi 211)

وقوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) (سورة الأنعام رقم 6، آية 53) قال الطبري : يقول تعالى ذكره: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)، وهذا منه تعالى ذكره إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحق، وخذلهم عنه وهم أغنياء وتقرير لهم: أنا أعلم بمن كان من خلقي شاكراً نعمتي، ممن هو لها كافر، فممي على من مَنَنْتُ عليه منهم بالهداية، جزاء شكره (Al-Tabari 11 /89).

وقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) (سورة الأعراف رقم 7، آية 10) قال الطبري : (قليلًا ما تشكرون) ، يقول: وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التي أنعمتها عليكم لعبادتكم غيري، واتخاذكم إلهًا سواي(315/ Al-Tabari 12) .

وقوله تعالى : (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (سورة الأعراف رقم 7، آية 17) قال الطبري : وأما قوله: (ولا تجد أكثرهم شاكرين) فإنه يقول: ولا تجد ربّ أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك التي أنعمت عليهم، كتركمتك أباهم آدم بما أكرمته به، من إسجاده له ملائكتك، وتفضيلك إياه عليّ و"شكرهم إياه"، طاعتهم له بالإقرار بتوحيده، واتباع أمره ونهيّه (Al-Tabari 12 /342) .

وقوله تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (سورة إبراهيم رقم 14، آية 7) قال ابن كثير: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) أي آذنتكم وأعلمكم بوعده لكم، ويحتمل أن يكون المعنى: (وَإِذْ أَقْسَمَ رَبُّكُمْ وَآلِي بعزته وجلاله وكبريائه، كقوله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (الأعراف: 162) وَقَوْلُهُ: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) أي لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها (Ibn Kathir 4/411) .

وقوله تعالى : (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (سورة النمل رقم 27، آية 40) قال السعدي : (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) أي: ليختبرني بذلك ، فلم يغتر سليمان عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بين أن هذا الشكر لا ينتفع الله به وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه فقال: (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) غني عن أعماله كريم كثير الخير يعم به الشاكر والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها وكفرها داع لزوالها (Saadi 605) .

وغيرها من الآيات التي وردت في القرآن الكريم ذكر فيها الشكر.

المطلب الثالث: أنواع الشكر

بين أهل العلم أن للشكر أنواعاً ثلاثة:

الأول: شكر اللسان وهو : الثناء على المحسن بذكر إحسانه وإظهار النعمة والاعتراف بها باللسان .

النوع الثاني: شكر القلب وهو : أن يعتقد العبد بقلبه وأن يكون هذا الاعتقاد صادر عن حب وإذعان بما صدر عنه عن طريق اللسان .

النوع الثالث: شكر الجوارح وهو : أن يستعمل العبد جميع النعم التي أنعم الله بها عليه من السمع والبصر والكلام وغير ذلك فيما خلقت لأجله ، وبيان ذلك ، أن يستعمل العبد النظر في التأمل في مخلوقات الله ، وأن يستعمل السمع في تلقي الأوامر والنواهي ، ويستعمل العقل في فهم المعاني التي ينبغي أن يفهمها ويعمل بمقتضاها ، وبالجملة : فشكر الجوارح القيام بطاعة الله خير قيام ، بمعنى أن يكون ممتثالاً للأوامر مجتنباً للنواهي ، فلا يفقده الله حيث أمره ولا يجده حيث نهاه ، وهذا هو شكر الجوارح .

قلنا إن الشكر أنواع ثلاثة ؛ لأنه لا يخرج عنها ، لأن الشكر ثناء كما تقدم ، وهذا يكون باللسان واعتراف وهذا يكون بالقلب وعمل وهو شكر الجوارح ، ويؤيد ذلك قوله تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سورة سبأ رقم 34، آية 13) أي : اعملوا ما تعملونه شكر لله ، وقيل شكرا مفعول لقوله (اعْمَلُوا) ، وإنما قال: سبحانه وتعالى (اعْمَلُوا) ولم يقل اشكروا ، لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح ، ويؤيد ذلك أيضاً ما رواه الطبراني عن النواس بن سمعان " أن ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء سرق فقالت: لئن ردها الله تعالى علي لأشكرن ربي ، فلما ردت قال : الحمد لله ، فانتظروا هل يحدث صوما أو صلاة فظنوا أنه نسي فقالوا له : فقال : ألم أقل الحمد لله ؟ " ! فلو لم يفهموا رضي الله عنهم إطلاق الشكر على العمل لم ينتظروه (Al-Suyuti 896 /51/1) .

وما أخرجه البخاري في كتاب التهجد باب قيام النبي ﷺ الليل عن زياد قال :سمعت المغيرة رضي الله عنه يقول : إن كان النبي ﷺ يقوم أو ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه ، فيقال له (لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك) فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا (شكورا) (أبالغ في شكر الله تعالى على غفرانه لي) قال الحافظ في الفتح عند شرحه لهذا الحديث : وفيه مشروعية الصلاة للشكر ، وفيه أن الشكر يكون بالعمل ، كما يكون باللسان كما قال الله تعالى : (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) وقال القرطبي : ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفاً من الذنوب وطلباً للمغفرة والرحمة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك ، فأفادهم أن هناك طريقاً آخر للعبادة ، وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئا فيتعين كثرة الشكر على ذلك ، والشكر: الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة، فمن كثر ذلك منه سمي شكورا ، ومن ثم قال سبحانه وتعالى : (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ) وفيه ما كان النبي ﷺ عليه من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه ، قال العلماء : إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعظمهم بعض نعمة الله تعالى عليهم وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، والله أعلم. (Al-Bukhari 20/ 3)

وزاد بعض أهل العلم في أنواع الشكر نوعاً رابعاً وهو : شكر الله تعالى بالله ، فلا يشكره حق شكره إلا هو . ذكره صاحب التجريد وأنشد:

وشكري ذوي الإحسان بالقلب تارة ** وبالقول أخرى ثم بالعمل الأنتى

وشكري لربي لا بقلبي وطاعتي ** ولا بلساني بل به شكرنا عنا

ولكن الذي أطبق عليه الكافة أن الشكر أنواع ثلاثة، والشكر بهذه الأنواع وهذه الكيفية، حكمه الوجوب. (33-35 Muhammad Ali) .

المبحث الثاني: الشكر وأثره على النعم

المطلب الأول: تعريف النعم

أولاً: تعريف النعم لغةً .

قال ابن فارس: (نعم) النون والعين والميم فروعُه كثيرةٌ، وعندنا أُنْما على كثرَها راجعةٌ إلى أَصلٍ واحدٍ يدلُّ على ترفُّهِ وَطيبِ عَيْشٍ وَصَلاحٍ. مِنْهُ النَّعْمَةُ: مَا يُنْعِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِهِ مِنْ مَالٍ وَعَيْشٍ. يُقَالُ: لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ نِعْمَةٌ. وَالنَّعْمَةُ: الْمِنَّةُ، وَكَذَا النَّعْمَاءُ. وَالنَّعْمَةُ: التَّنْعُمُ وَطِيبُ الْعَيْشِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) (سورة الدخان رقم، آية 27) (Ibn Faris 5/ 446)

ثانياً: تعريف النعم اصطلاحاً .

اختلفت تعريفات العلماء للنعمة في الاصطلاح على أقوال عدة نورد بعضها منها:

يرى الألوسي أن النعمة: هي في الأصل الحالة المستلذة ... وفي معنى ذلك قولهم:

هي ما ينتفع به ويستلذ، ومنهم من زاد: ويحمد عاقبته ، ونقل الألوسي عن الطيبي أن النعمة: هي عبارة عن المنفعة

المفعولة على وجهه الإحسان إلى الغير (Al-Alussi 11 /91)

أما الجرجاني فعرفها بأنها: "ما قصد به الإحسان والنفع لا لغرض أو عوض" (Al-Jarjani 1558)

وذهب أبو زهرة إلى أن النعمة هي: ما يستلذه الإنسان أو يستطيعه، ولكنها هنا تفسر بأنها المنفعة التي تدوم، ويستطيعها القلب، سواءً أكانت عاجلة أم آجلة، وسواءً أكانت دنيوية أو أخروية، وسواءً أكانت مادية أم روحية.. وإن نعمه تعالى على عباده لا يحصيها العدد ولا يحيط بها الحصر (Abu Zahra 6 /1)

المطلب الثاني: نعم الله لا تعد ولا تحصى

إن المتأمل في نعم الله سبحانه المحيطة بنا، يجد أن هذه النعم قد سبقت وجودنا، ونحن حين النظر في بعض هذه النعم التي نحتاج إليها، نجد أنها قد توفرت لنا قبل أن نطلبها من الله، وقبل أن نسأله إياها، ولذلك نجد أن الكون قد أعد سلفاً لاستقبالنا، وأن نعماً لا تعد ولا تحصى قد منحنا الله إياها قبل أن يسكن آدم وذريته هذه الأرض، وأن هذه النعم منه سبحانه قد سبقت إلينا من قبل أن نعرف كيف نسأله إياها، ومثال ذلك الجنين في بطن أمه، حيث توفرت له نعم كثيرة وعناية كبيرة، قبل أن يطلبها أو قبل أن يعرف كيف يطلبها.

ولهذا نجد أن القرآن الكريم يحدثنا عن ذلك في سياق تعداد النعم على الإنسان، فبعد أن ذكر سبحانه ما سخره للإنسان من نزول الماء، وإخراج الثمرات، وتسخير الفلك والبحار والأنهار، وكذلك الشمس والقمر، والليل والنهار، وهي نعم عظمى يندرج تحتها نعم صغرى، قال الحق بعد ذلك: (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (سورة إبراهيم رقم 14، آية 34) فالله سبحانه في هذه الآية قد عمم بعد أن خصص فقال " : (وَأَتَاكُمْ) ولما كان الكمال لا يكون إلا في الجنة، قال " : من كل ما سألتموه " أي ما أنتم محتاجون إليه، ثم حقق وجه العظم بفرض ما يوجب العجز فقال: (وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ) أي تروموا عدد إنعام الملك الأعلى، أو تأخذوا في العد، وقد عبر هنا بالنعمة إرشاداً إلى الاستدلال بالأثر على المؤثر (لا تُحْصَوْهَا) أي لا تحيطوا بها ولا تعرفوا عد الحصى المقابلة لها إن عدتموها بها، كما كانت عادة العرب، أولاً تجددوا من الحصى ما يوفي بعددها، هذا في النعمة الواحدة فكيف بما زاد! (Bekaa -4/188-189)

فتأمل، كيف أنه بعد كل هذه النعم يخبرنا سبحانه أنه لا يمكن للإنسان أن يعد نعم الله عليه، ولا أن يحصيها عدًا بحال من الأحوال ولو كانت نعمة واحدة فقط ، لأنه لا يستطيع أن يدرك ما في هذه النعمة من نعم متعددة (60/3 Al-Jazairi)

ثم أعد النظر مرة أخرى في قوله : (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) ، " أي أعطاكم من كل مسؤل سألتموه، وقيل : المعنى وأتاكم من كل ما سألتموه، ومن كل ما لم تسألوه، فلم نسأله شمسًا ولا قمرًا، ولا كثيرًا من نعمه التي ابتدأنا بها جل شأنه ، وقيل في معنى (لَا تُحْصِيهَا) لا تطيقوها عدّها، ولا تقوموا بحصرها لكثرتها، كالسمع والبصر وتقويم الصور إلى غير ذلك من العافية والرزق، نعم لا تحصى ، وهذه النعم من الله فليمدن نعمة الله بالكفر، وهالا استعنتم بها على الطاعة " (Al-Qartabi 5 /333) .

وليحرص العبد على الحفاظ على هذه النعم، وعدم ارتكاب ما يفقده إياها من العصيان، وارتكاب المحرمات، فيكثر من الدعاء: نعوذ بالله من السلب بعد العطاء، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ

وَحَافِظُ عَلَيْهَا يَتَّقَى الْإِلَهَ فَإِنَّ الْإِلَهَ سَرِيعُ النَّقَمِ (ديوان علي بن أبي طالب 40)

و من شكر فإنما يشكر لنفسه، وهو المستفيد الوحيد من ذلك، فالله غني عنه، ومن كفر فهو الفقير المحروم، والله غني عنه.

نِعْمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُؤَفِّيَهَا حَقَّهَا مِنَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ، وَلَكِنْ عَلَّمَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ نَشْكُرُ اللَّهَ وَنُحَمِّدُهُ، مَعَ يَقِينِنَا بِأَنَّا لَا نُؤَفِّيهِ تَمَامَ الشُّكْرِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي أَبُو بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَانَ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْ بُشِّرَ بِهِ وَهَذَا يَشْمَلُ كُلَّ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ الَّتِي يُسَرُّ بِهَا الْإِنْسَانُ خَرَّ سَاجِدًا ؛ شُكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى" (Ibn Abuaoud 3/2774 – Al-Tarmadi 3/1578 – Majeh 2/1394)، أي: أَسْرَعَ إِلَى السُّجُودِ، كَنُوعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذَا الْمَرَّةِ وَالْفَضْلِ ... وَفِي

الحديث: الحثُّ على تقديم الشُّكرِ والحمدِ لله عند تجدد النِّعم، مع علمنا بأننا لن نُوفِّيه حقَّ الحمدِ . (موقع الدرر السنية)

المطلب الثالث: ما الأسباب التي توصل العبد إلى منزلة العبد الشكور؟

هنالك أسباب كثيرة توصل العبد إلى منزلة العبد الشكور منها:

1/ الاستعانة بالله وكثرة الدعاء لله تعالى بأن يعينه على شكره، وعلى القيام بالطاعات، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً دعاءً عظيماً، فقال: يا معاذ، والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ؛ لا تدع في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك . (Abu Daoud 2/86- Alnasayiyi 9857) (Governor 3/307, Albanian 2/320) كما دعا سليمان عليه السلام ربه فقال: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (سورة النمل رقم 27، آية 19) فبدون المعونة من الله لا يمكن أن يصل الإنسان إلى منزلة العبد الشكور.

2/ الاعتراف بأن النعم هي من فضل الله ومنه وكرمه ومن عنده، والتذكُّر بأن النعم التي بين أيدينا اليوم سنُسأل عنها يوم القيامة.

3/ كثرة التفكير في النعم التي يتقلب العبد بها، وسيجد أنه لا يمكنه إحصاؤها لكثرتها، فهذا ينسيه همومه من ناحية، ويجعله يشكر ربه الذي غمره بمِنَّه وأفضاله.

4/ طاعة الله تعالى وامتنال أوامره: فذلك يزيد المولى رضا عن عبده ويعينه على شكره، والإكثار من العبادات والعمل الصالح، شكراً وحمداً لله تعالى على ما أنعم وتكرم، وتذكُّر ثواب الشكر على النعمة وما يحصل له بسببه من خير في الدنيا والآخرة.

5/ رؤية الناس الذين سلبت منهم النعم: لأن ذلك ربما يشعر العبد أنه ملك الدنيا بخذافيها ويذكره بالنعم التي ألفها وأصبح يراها شيئاً عادياً، وهذا ما يستدعي حبه لخالفه وكثرة ثنائه عليه.

المطلب الرابع: أثر شكر النعمة على الفرد والمجتمع

مما لا شك فيه أن لشكر النعمة آثاراً كبيرة، وثمرات عظيمة، ومنافع لا تعد، وأن تلك الآثار لتظهر للعيان، ويحس بها الإنسان، بعد أن يكون قد أدى شكر نعمة المنعم، وأظهر امتنانه لخالفه ورازقه، وراح لسانه يلهج بالحمد والشكر على من أولى وأسدى إليه تلك النعم، وطالما بقيت جوارحه تعبر عن ذلك الامتنان، وتسخر طاقاتها في القيام بحقوق النعمة التي يفرضها استمرار العطاء، وتدفع المنح والهبات.

وإن ثمرات الشكر ليعود أثرها على الفرد والمجتمع، بحيث تنعكس إيجاباً على أمر الدنيا و الدين، وعلى العلاقات والروابط الاجتماعية، وكذلك يضمن الشكر تدفق تلك النعم على الأفراد والأمم وازديادها، وكذلك زوال شبح البؤس والعوز والفاقة، ومن تلك الآثار:

1/ الحفاظ على النعمة وزيادتها: إن نعم المولى حين تفيض على العبد، وحين تأتيه المنح والهبات من كل مكان، وحين يصله موله بالعطايا والخيرات، فإن ذلك كله يحتتم عليه أن يقابل تلك النعم والعطايا بالشكر؛ لأن شكر النعمة هو الكفيل بالحفاظ عليها، وهو الحارس الأمين، والراعي المكين لتلك العطايا والهبات، وقد جاء عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: " قيدوا نعم الله عز وجل بالشكر لله تعالى " (Ibn Abi Al-Dunya -28/23). وبالشكر تنمو النعم وتزيد كما جاء على لسان موسى عليه السلام في قوله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (سورة إبراهيم رقم 14، آية 7) .

2/ الجزء العظيم في الآخرة: أعد الله سبحانه للشاكرين جزاءً عظيمًا، وثواباً كبيراً في الآخرة، فعندما يقوم الإنسان بحقوق النعمة من الإقرار والاعتراف بالنعمة، ومن شكر المنعم جل شأنه فإنه يضع نفسه حينذاك في المكان الذي يرضى فيه عنه ربه ومولاه ، وينتظر فيه حسن الجزاء والمكافأة، وقد ورد في القرآن الكريم آيتان متتاليتان نصّ على أن الله سبحانه يجزي الشاكرين على شكرهم، قال تعالى : (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (سورة آل عمران رقم 3، آية 144-145) .

3/ نيل رضى المولى ومحبهته: إن من أهم ثمرات شكر نعمة الله سبحانه محبة الله تعالى للعبد، ورضاه عنه، فإن المحبة والرضا من أهم ما يجوز عليه الشاكر لربه ، وكذلك من أهم ما يوصل العبد إلى القربى ، والحظوة، والمكانة عند الله، استدامة شكر النعمة من العبد ، يقول ابن القيم: " ومتى عرف المنعم أحبه، وجدّ في طلبه، فإن من عرف الله أحبه لا محالة " (Ibn Qayyim 2/2) (Ziadeh 268-262) .

4/ أن فائدة الشكر ومنفعته تعود على الشاكر نفسه: فهو أول من ينتفع بهذه الفوائد ويجني هذه الثمار ويبين ذلك ويشهد له قوله سبحانه على لسان سليمان عليه السلام : (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (سورة النمل رقم 27، آية 40) .

5/ دافع للبلاء ومانع من وقوع العذاب: يدل على ذلك قوله تعالى : (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) (سورة النساء رقم 4، آية 147) .

6/ يطهر نفس الشاكر ويقربه من ربه ويوجهه إلى بذل النعم وإنفاقها في وجوهها النافعة.

7/ اكتسابُ الأجر في الآخرة: لا تقتصرُ مكافأةُ الله لعبده الشكور على حدود الحياة الدنيا، إنما تتجاوزها لينالَ الأجرَ والجزاء العظيمَ منه تعالى في الآخرة، فهو سبحانه القائل: (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) (سورة آل عمران رقم 3، آية 145)

الخلاصة:

وفي ختام هذا البحث توصلت إلى نتائج عدة أخصها بالنقاط التالية:

- 1/ تجلت أهمية الشكر في القرآن الكريم وظهر أثره على النعم.
- 2/ للشكر ثمار عظيمة وفوائد كثيرة منها: أنه سبب لزيادة النعم ودوامها، ودافع للبلاء ومانع من وقوع العذاب.
- 3/ يُعد كفر النعمة وجحودها أهم أسباب زوال النعمة وانقطاعها (فكفران النعم يهدم البيوت ويخرب المدن ويهلك الأمم، كما أن شكران النعم يثبتها ويزيدها وينميها).
- 4/ نعم الله لا تُعد ولا تحصى. قال تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا) (سورة إبراهيم رقم 14، آية 34)

التوصيات :

ومن خلال هذه النتائج التي توصلت إليها تم الخروج بالتوصيات التالية:

- 1/ ينبغي للعبد أن يسأل ربه أن يعينه وأن يلهمه وأن يوفقه للقيام بشكر نعمة الله عليه كما دعا سليمان عليه السلام ربه فقال: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (سورة النمل رقم 27 ، آية 19)
- 2/ الحذر من عاقبة الجحود فهي من أَوْخَمِ العواقب لأن الجحود شر ما يتلى به الإنسان والجحود سبب في زوال النعم ونزول العذاب والنقم .
- 3/ السجود شكراً لله تعالى كلما أنعم الله علينا نعمة جديدة أو دفع عنا نقمة.
- 4/ شكر من أسدى لنا خدمة أو معروفاً من الناس، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله .

References

1/AL Koran AL Karim

2/ Al- Bekaai, Burhanuddin Abi Al- Hassan Ibrahim bin Omar(1415 – 1995)Al-Darr systems in the fit of verses and fences (1st Edition). Dar Al-Kutub Al-Elmia, Beirut , Lebanon

3/ Abu Zahra , Mohammed Abu Zahra Abdul Ghaffar Hamed Hilal (1987) Zahrat Al-Tafseer (1st Edition) Arab Thought House , Cairo , Egypt.

4/Abu Daoud , Abu Daoud Suleiman bin Al-Shath, bin Ishaq bin Bashir bin Shaddad bin Amr al-Azdi Al-Sajstani. Sinan Abi Daoud , Modern Library, Sidon , Beirut.

5/Ibn Abi al-Dunya , Abu Bakr Abdullah bin Mohammed bin Obeid bin Sufyan bin Qais al-Baghdadi Umayyad Al-Qurashi known as Ibn Abi al-Dunya (1985) Thanks to Allah Almighty (2nd Edition) Dar Ibn Kabir – Damascus

6/Ibn Hajar , Ahmed bin Ali bin Mohammed al-Kanani Al-Ashkelani Abu Fadl Shihab al-Din bin Hajar (1407 – 1986) Fath al-Bari by Explaining Saheeh Al-Bukhari (1st Edition) Investigator: Mohammed Fouad Abdel Baki - Mohibuddin Al-Khatib - Qusay Mohib al-Din Al-Khatib, Dar al-Rayyan Heritage

7/Ibn Hanbal , Abu Abdullah Ahmed bin Mohammed bin Hanbal bin Hilal bin Assad al-Shaybani (1421 - 2001) Imam Ahmed bin Hanbal (1st Edition) Investigator: Shoaib Al-Arnaout - Adel Murshid, et al, Al-Resala Foundation.

8/Ibn Qayyim , Abu Abdullah Mohammed bin Abi Bakr bin Ayoub known as Ibn Qaim al-Jawziya , The runways of the salkin between the houses of Ayak Na'abd and Ayak Naswad (1st Edition) Dar Al-Kutub Al-Elmia - Beirut – Lebanon

9/Ibn Kathir - Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Kathir -Qurashi al-Basri and then Al-Damascene (1419) Interpretation of the Great Qur'an(1st Edition) *achieved:* Mohammed Hussein Shamseddine, Dar Al-Kutub Al-Elmia , Publications of Muhammad Ali Beydoun - Beirut

10/Ibn Maja , Abu Abdullah Mohammed bin Yazid bin Maja Al-Qazwaini (1430 - 2009) Sinan Ibn Maja , Investigator: Shoaib Al-Arnaout - Adel Murshid - Mohammed Kamel Qara Balli - Abdul Latif Herzallah (1st Edition) Dar al-Resala Al-Alam al-Al-Ayam

11/Al-Tarmadi , Mohammed bin Isa bin Sura bin Musa bin Al-Dahak, , Abu Issa (1998) Grand Mosque - Sinan al-Termadi - Investigator: Bashar Awad Marouf , Dar al-Gharbi Al-Islami , Beirut.

12/ Al-Jazairi , AbuBakar Jaber (1419 – 1998) Acer Al-Tafseer for The Words of the Great Ali , Library of Science and Governance , Medina , Dar al-Fikr , Beirut , Lebanon

13/Al-Jarjani , Ali bin Mohammed bin Ali Al-Zain (1405) Definitions (1st Edition) Arab Book House , Beirut

14/ Al-Hakim , Abu Abdullah al-Hakim Mohammed bin Abdullah bin Mohammed bin Hamdawih bin Naeem bin Al-Hakam al-Dabbi Al-Tahmani Al-Nisaburi known as Ibn al-Sale (1411 – 1990) who is aware of the correct ones (1st Edition) Dar Al-Kutub Al-Elmia - Beirut

15/Al-Razi , Ahmed bin Fares bin Zakaria Al-Qazweini - Language Standards (1st Edition) Islamic Information Office.

16/Ziadeh , Raed Mohammed (1429 - 2008) Grace between Permanence and Demise, Objective Qur'anic Study , Master's Thesis , Islamic University , Gaza.

17/Al-Saadi , Abdul Rahman bin Nasser bin Abdullah (1420 - 2000) Tayseer Al-Karim Al-Rahman in interpreting the words of Al-Manan , (1st Edition) Investigator: Abdul Rahman bin Maala Al-Luwahaq , Al-Resala Foundation

18/Al-Suyuti , Abdul Rahman bin Abi Bakr, Jalaluddin, Al-Rawi's training in explaining the approximation of the nucleus , achieved by: Abu Qutaiba, the eyes of Mohammed al-Faryabi , Dar Taiba.

19/Al-Tabari , Mohammed bin Greer bin Yazid bin Kabir bin Ghaleb al-Amli, Abu Jaafar (1420 - 2000) Al-Bayan Mosque in the interpretation of the Qur'an (1st Edition) Investigation: Ahmed Mohammed Shaker , Al-Resala Foundation

20/Abdel Baki , Mohammed Fouad Abdel Baki (1988) Dictionary indexed for the words of the Holy Quran (2nd Edition) Dar al-Hadith - Cairo

21/The World of Literature Encyclopedia of Modern Arabic Poetry , Diwan Ali bin Abi Talib

22/Al-Qartabi , Abu Abdullah Mohammed bin Ahmed al-Ansari (1423 - 2002) Al-Jama for the provisions of the Qur'an - Dar al-Hadith - Cairo - Egypt

23/Mohammed Ali , Nabila Hamed , Thanksgiving in the Holy Quran , Objective Study , Al-Azhar University - Faculty of Islamic Origins and Da'wa in Manufiya.

24/Alnasayiyi , Abu Abdul Rahman Ahmed bin Shoaib bin Ali Al-Khorasani, (1406 - 1986) almuhtabaa of alsunan - alsunan alsughraa lilnasayiyi (2nd Edition) Investigation: Abdul Fattah Abu Ghada , Office of Islamic Publications - Aleppo

25/Al-Albanian , Abu Abdurrahman Mohammed Nasser al-Din bin Haj Noah bin Najati bin Adam Al-Ashkudri , Saheeh Al-Jami al-Saghir and his increases , Islamic Office

26/ Al-Alussi: Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah (1415) ruh almaeani of tafsir alquran aleazim walsabe almathani (1st Edition) Investigator: Ali Abdel Bari Attia Publisher , Dar Al-Kutub Al-Elmia - Beirut Edition

Internet:

sunni al-Darr site: <https://dorar.net/hadith/sharh/43177>

المباحث اللغوية في تفسير الصحابة والتابعين: أهميتها ومميزاتها ومنهجهم فيها

The importance of knowing linguistic subjects in the
interpretation of the Companions and their followers, their
features, and their approach to authorship

د. محمد سعيد الحصري

mohamedsaidlahdiri@gmail.com

2021/1443

Received 13 | 02 | 2022 – Accepted 19 | 03 | 2022 – Available online 15 | 04 | 2022

Abstract

This study deals with a model of the interpretation of the ancestors, which is the linguistic interpretation. In view of the importance of this subject, the researcher wrote applied structural research in it. He spoke about the importance of ancestors' linguistic interpretation, the extent of their solicitude about it, and their methodology in it and gave a lot of examples.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث نماذج تفسير السلف وهو التفسير اللغوي، ونظرا لإهمال الكتاب لهذه الجزئية، ولأهمية هذا الموضوع رأى الباحث أن يكتب فيها بحثا تأصيليا تطبيقيا، فأصل لموضوع التفسير اللغوي فتكلم عن أهمية تفسير السلف اللغوي، وبين مدى عنايتهم به، وتكلم عن أهم مميزات تفسيرهم اللغوي، ومنهجهم ومثل لذلك بأمثلة كثيرة.

مقدمة

إن الناظر في أقوال السلف من الصحابة ؓ والتابعين يجد الشيء الكثير من المباحث اللغوية التي تكلموا عنها، كما يجد أن أقوالهم وتفسيراتهم لا تخرج عن الأصول اللغوية، ومع هذا نجد تقصيرا في الساحة العلمية وإهمالا للقضايا اللغوية في كلامهم، فرأيت أن أكتب هذا البحث من أجل استخراج المباحث اللغوية من تفسيرهم، وكيف طبقوا القواعد اللغوية على القرآن، وكيف كانت هذه المباحث في تفسيرهم هي حجر الأساس في وضع من بعدهم للمعاجم وأصول المباحث اللغوية.

أهداف البحث وأهميته

بيان مكانة السلف من اللغة والتفسير اللغوي.

بيان أصول علوم اللغة في أقوال السلف.

بيان اتفاق تفسيراتهم مع أقوال اللغويين.

بيان أساليب وطرق تفسيراتهم اللغوية.

أسئلة الدراسة:

ما مدى عناية السلف بالتفسير اللغوي؟ ماهي أهمية التفسير اللغوي عند السلف؟ ماهي مميزات التفسير اللغوي عند السلف؟ ما هو منهج السلف في التفسير اللغوي؟

المنهج المتبع في الدراسة:

المنهج التوثيقي.

حيث قام الباحث باستقراء وجمع المرويات الواردة عن الصحابة ؓ والتابعين في التفسير اللغوي.

المنهج التحليلي.

حيث قام الباحث بتفكيك وتقييم وترتيب المرويات عن الصحابة ؓ والتابعين في التفسير اللغوي.

المطلب الأول: تعريف الصحابي

لغة:

الصحابي لغة: من صحب يصحبُ صُحْبَةً ومن معانيها الملازمة والمرافقة والمعاشرة والمقارنة. (Ibn Faris, 1979, 335: 3)

المعنى العربي للصاحب:

يطلق لفظ الصحبة عرفاً إذا كانت الملازمة بين شيئين طويلة أو الملازمة بينهما عميقة فمن طالت صحبته وكثرت ملازمته جاز عرفاً أن يطلق عليه اسم (صاحب). (Alkhwaji, 2012, 37)

اصطلاحاً:

تعريف أهل الحديث: كل مسلم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات على الإسلام. (Ibn hajar, 2001, 140: 1)

تعريف الأصوليين (983: 3, 1999, Alnamla).

اعتمد جمهور الأصوليين المعنى العربي في تعريفهم لذلك قالوا: الصحابي من لقي النبي - صلى الله عليه وسلم -، واختص به اختصاص المصحوب متبعا إياه مدة يثبت معها إطلاق:

"صاحب فلان" عليه عرفاً، بلا تحديد لمقدار تلك الصحبة مثل: الخلفاء الأربعة، والعبادة، وزوجات النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومعاذ، وزيد، وأنس، وأبي هريرة، ونحوهم ممن جمع إلى الإيمان والتصديق ملازمة النبي - صلى الله عليه وسلم -، فوعوا أقواله، وشهدوا أفعاله، وعملوا على التأسي والاقتداء به.

ومجموع عبارات الأصوليين متفقة على أن شروط الصحبة هي:

طول المكث وكثرة المجالسة والملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم

استناداً إلى المعنى العرفي للصحبة والصاحب وأن الرؤية لا تكفي وحدها لجعل الرائي صحابياً فالصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم فأمن به ولازمه زمناً طويلاً حتى صار يطلق عليه اسم الصحابي عرفاً.

الترجيح بين المعاني الاصطلاحية:

عند أهل الحديث النظر منصب على توثيق الصحابة وعدالتهم في نقل الأخبار فهذا لا شك أن من رأى النبي مرة أو مرتين فهو صحابي تثبت له هذه العدالة أما الاحتجاج بقوله فهذا الذي قصده الأصوليون فالعدالة شيء والاحتجاج به شيء آخر.

ومن هذا كان تعريف الأصوليين أولى في مسألة الاحتجاج بأقوال الصحابة في التفسير.

وقول أهل الحديث أولى في نقل اللغة إذ يكفي مجرد العدالة.

المطلب الثاني: تعريف التابعين

لغة: التبّع لا يخرج معناه عن التَّلَوُّ والقَفْوُ، يقالُ تَبِعْتُ فُلَانًا إِذَا تَلَوْتَهُ. (Ibn Faris, 1979, 1:362).

اصطلاحاً:

وهو مَنْ لَقِيَ الصَّحَابِيَّ. وهذا تعريف أهل الحديث. (Ibn Hajar, 2001, 1:143).

وأما تعريف أهل الأصول فاشتروا فيه الصحبة لا مجرد اللقي، ويعنون بالصحبة المعنى العربي أي طول الملازمة، وهذا الذي يعنينا. (Alhifi, 33).

المبحث الأول: أهمية تفسير السلف:

المطلب الأول: أهمية تفسير السلف عموماً:

إن من استقرأ تاريخ السلف مع كتاب الله؛ وجد تمام عنايتهم بكتاب الله حفظاً وتفسيراً وتدبراً واستنباطاً، كيف لا؟! وكتاب الله هو العصمة والنجاة، لذا لا تراه خفي على الصحابة ؓ شيء من معانيه إلا استفصلوا من الرسول ﷺ . وكذا الحال بالتابعين، الذين هم أكثر طبقات السلف في التفسير، وعددهم فيه كثير، لقد سألوا عن التفسير، واستفصلوا فيما غمض عليهم، ولهم في ذلك أقوال، ومن أشهرها ما جاء عن الشعبي حين قال: «والله ما من آية إلا قد سألت عنها»، (Altabari, 2001, 1:87) وروى بسنده عن مجاهد، قال: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث

عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها» (Altabari, 2001, 1: 90)، وبقي الحال كذلك في أتباع التابعين الذين كانوا أكثر طبقات السلف تدويناً للتفسير، وجمعاً لما روي عن الصحابة والتابعين، وفي عصرهم ظهرت المدونات الأولى للتفسير، وكان لهم أقوال واختيارات، ومن استقرأ تفسير السلف سيحد أنهم قلما يتركون آية لا يتكلمون عنها ويبينون ما فيها من المعاني، سواء اتفقوا في تفسيرهم أم كان اختلافهم فيه اختلاف تنوع، أو اختلاف تضاد (وإن كان هذا الأخير في تفسيرهم قليل).

المطلب الثاني: أهمية تفسير السلف اللغوي خصوصاً:

لقد اهتم التابعون بمعرفة التراكيب العربية وما يتعلق بها، والمفهوم من كل تركيب وما إلى ذلك، ولقد جاءت النصوص عنهم بتفسير الآيات بإيضاح موضع الإيجاز أو الحذف والزيادة والاشتقاق، ومن ذلك كلامهم على المعرب، وكلامهم على الحذف، وعلى التقديم والتأخير، مما يؤكد أن النواة الأولى لهذا العلم قد غرست في عهدهم ولم تكن هذه الأدوار مقعدة في قواعد أو مضبوطة بضوابط إلا أنهم كانوا يفهمونها بالسليقة العربية، ولذا لم يكن الاهتمام منصبا على تحديد القواعد بقدر ما كان الهدف هو فهم الآيات، ومما ساعدهم على ذلك:

-الولادة عريبا بين العرب الأقحاح في عصر الاحتجاج وخصوصا الصحابة⁽ⁱ⁾، ثم جاء التابعون وأتباعهم فأخذوا اللغة من رجالها واجتهدوا في طلبها حتى صار منهم من لم يلحن قط⁽ⁱⁱ⁾، وبعضهم يذكر أن أقل شيء يحفظه الشعر ولو حدث به لتكلم شهرا لا يعيد⁽ⁱⁱⁱ⁾، وغير ذلك مما جعل جملة من أهل اللغة يزكّونهم^(iv)، بل ويحتجون بكلامهم^(v)، وكمثال

على احتجاج اللغويين بلغة السلف أن الحسن البصري اتخذ حجة في اللغة من قبيل جملة من العلماء واستشهدوا بجملة من كلماته في ذلك منهم ابن قتيبة والزحشري وأبو عيسى الأصفهاني وابن الأثير وابن منظور^(vi).
قال السيوطي في الإتقان: "وأولى ما يرجع إليه في معرفة الغريب ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه فإنه ورد عنهم ما يستوعب غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة". (Alsuyouti, 1974, 2: 6)

المبحث الثالث: مصادر الصحابة والتابعين في التفسير

سأذكر مصادرهم مجملًا لأن الغرض من هذا البحث ليس التفصيل في هذا، وهي مذكورة في جملة من الكتب. (Alkattan, 2000, 346)

المطلب الأول: مصادر الصحابة

1- القرآن:

وَقَالَ عُمَرُ { النُّفُوسُ زُوِّجَتْ } [التكوير 7] يَزَوِّجُ نَظِيرَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ قَرَأَ { احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ
{ [الصفات 22]. (Alboukhari, 2001, 6: 167)

2- السنة وهو أخذ مباشر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ط قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } (Alquran , Alanaam, 6: 82) قُلْنَا يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَئِنَّا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ قَالَ لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ { لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } بِشِرْكٍ أَوْ لَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ

{ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } (Alquran , Loukman, 31 :13).

(2001, 6 :167)

3- اللغة العربية:

وهو المقصود من البحث وسنورد أمثلة كثيرة عنه -إن شاء الله-.

4- الاجتهاد:

قَالَ عُمَرُ τ يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ρ فِيْمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ {أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ} (Alquran ,

Albakara, 2 :266) قَالُوا اللَّهُ أَعْلَمُ فَعَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي نَفْسِي مِنْهَا

شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ عُمَرُ يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلَا تَحْفَظْ نَفْسَكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ضَرَبْتُ مَثَلًا لِعَمَلٍ قَالَ عُمَرُ أَيُّ عَمَلٍ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعَمَلٍ قَالَ عُمَرُ لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى

أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ (Alboukhari, 2001, 6 :32)

المطلب الثاني: مصادر التابعين

1- القرآن:

قال ابن زيد، في قول الله عز وجل: {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا} (Alquran, Altalak, 65 :10) قال: القرآن

روح من الله، وقرأ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} (Alquran, Alshoura, 42 :52) إلى آخر الآية،

وقرأ: {قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا} (Alquran, Altalak, 65:10) قال: القرآن، وقرأ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ} (Alquran, Foussilat, 41:41) قال: بالقرآن، وقرأ {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
الذِّكْرَ} (Alquran, Alhijr, 15:9) قال: القرآن، قال: وهو الذكر، وهو الروح. (Altabari, 2001, 23:468)

2- السنة وهو أخذ غير مباشر:

عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} (Alquran, Mariam, 19:57) قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ
نَبِيَّ ρ قَالَ: «لَمَّا عُرِجَ بِي رَأَيْتُ إِدْرِيسَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ». (Altirmidi, 1975, 5:316)

3- الصحابة:

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ سَأَلْتُ زُرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ
مَا أَوْحَى} (Alquran, Alnajme, 53:9) قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُ رَأَى جَبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةٍ
جَنَاحٍ. (Alboukhari, 2001, 6:141)

4- اللغة:

وهو المقصود من بحثنا.

5- الاجتهاد:

قَالَ مُجَاهِدٌ: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فَهُوَ شَفَعُ السَّمَاءِ شَفَعُ وَالْوُثْرُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. (Alboukhari, 2001, 6 :169).

المبحث الرابع: السلف والتفسير اللغوي

المطلب الأول: عناية السلف باللغة:

كان ظهور اللغة العربية بوصفها مصدرا رئيسا من مصادر التفسير في وقت مبكر، ومما يدل على ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قسم التفسير إلى أربعة أقسام وجعل قسما مما تعرفه العرب من لغتها، وكانوا يبحثون على تعلمها، فهذا ابن عباس رضي الله عنه يقول: لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا، وكان الحسن البصري يقول: تعلموا وفقكم الله العلم للأديان والطب للأبدان والنحو لتقويم اللسان، وسئل عن قوم يتعلمون العربية فقال: أحسنوا يتعلمون لغة نبيهم، وقال يحيى بن عتيق: سألت الحسن فقلت أرايت الرجل يتعلم العربية يطلب بها حسن المنطق ويتلمس أن يقيم قراءته؟ قال: حسن يا ابن أخي فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيها توجيهها فيهلك فيها، وقال الحسن: أهلكتكم العجمة تتأولون القرآن على غير تأويله".

وبدأ تدوين اللغة وقواعدها أول ما بدأ في عهدهم فلله درهم أي علم حفظوه وأي علم نقلوه ولولا الله ثم حرصهم لم نعرف قبيلًا من دبير من لغة القرآن ولا تخلط العربية مع لغات الأعاجم فلا يعرف حابلها من نابلهما فجازهم الله عنا كل خير.

وأهمية اللغة عند السلف أشهر من أن تذكر وكلامهم في الحث على تعلمها أكثر من أن يعدد لكن ما ذكرناه فيه إشارة إلى ما لم نذكره. (Alkhoudiri, 1999, 682)

المطلب الثاني: أهم الأسباب التي ساعدت السلف على الاستفادة من اللغة:

- معرفتهم بلسان العرب.
- معرفتهم بعادات العرب وأخبارهم.
- الإمام بأشعار العرب.
- معرفة فقه اللغة.

المطلب الثالث: مميزات تفسير السلف اللغوي

- يتباين الصحابة والتابعون في كلامهم على اللغة في الآيات، فممنهم من يكثر في علم من علوم اللغة ويعرف به، ومنهم يتكلم في جملة من علوم اللغة، ومنهم من يبين دليله اللغوي، ومنهم من لا يذكره. وقد كان مقصدهم بيان المعاني لذا لا نجد الإطناب في بيان الدليل اللغوي.
- قلة الاختلاف بينهم.
- عدم الكلام على كل المفردات بل ما غمض منها، وهذا يظهر عند الصحابة، ومع دخول جملة من الأعاجم في الإسلام اضطر التابعون إلى توسيع دائرة المفردات التي يتكلم عنها.
- لا نجد ما أحدث بعدهم من دخول علم الكلام في المسائل اللغوية.
- التفسير اللغوي عند السلف سمته السهولة في فهمه كل الناس.
- تفسيرهم اللغوي يجمع المعاني الكثيرة في الكلام اليسير القليل.

المبحث الخامس: منهجهم في التفسير اللغوي:

المطلب الأول: الكلام على الدلالات:

1- الاشتقاق:

اعتنى الصحابة والتابعون خاصة ببيان أصول الكلمات واشتقاقها، ويتضح هذا في تحليل التسميات وبيان وجه التسميات فمن ذلك

قول مجاهد في قوله تعالى: {عينا فيها تسمى سلسيلا} (Alquran, Alinsan, 76:18) قال: سميت بذلك

لسلسلة سبيلها وحدة جريها. (Alsuyouti, 8:375)

وكذا حين سئل عكرمة، عن قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ} (Alquran, Aldhariyat, 51:7) قال:

ذات الخلق الحسن، ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب قال: ما أحسن ما حبكه. (Altabari, 2001, 22:396)

2- المعرب:

مسألة وجود المعرب والألفاظ الأعجمية في القرآن تكلم فيها العلماء وأفادوا، والمقصود هنا هو إيراد أقوال الصحابة والتابعين المتعلقة بهذا المبحث في تفسيرهم، فقد ورد عنهم في ذلك روايات عديدة من ذلك:

- ما جاء عن عكرمة في قوله: {فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} (Alquran, Almoudathir, 74:51) قال: القسورة:

الرماة، فقال رجل لعكرمة: هو الأسد بلسان الحبشة، فقال عكرمة: اسم الأسد بلسان الحبشة عنبسة. (Altabari,

2001, 24:40)

- وكذلك حين سئل ابن عباس عن القسورة، فقال: ما أعلمه بلغة أحد من العرب: الأسد، هي عصب

الرجال. (Altabari, 2001, 24:41)

وقد كان مجاهد على دراية بالألفاظ الأعجمية التي تعربت باستعمال العرب لها أو كانت مما اتفقت عليه اللغات، وهو ممن قال بوقوع المعرب في القرآن بل كان أكثر التابعين قولاً به.

3- الوجوه والنظائر:

المقصود بها كليات القرآن وهي: معرفة الألفاظ المشتركة التي تستخدم في أكثر من معنى أو ما كان منها متواطئاً مع غيره، وإنما أطلق عليها "كليات" لكثرة استخدامهم لفظة (كل كذا) في القرآن فهو بمعنى كذا.

- عن ابن عباس: (فذبجوها وما كادوا يفعلون)، يقول: كادوا لا يفعلون، ولم يكن الذي أرادوا، لأنهم أرادوا أن لا

يذبجوها: وكل شيء في القرآن "كاد" أو "كادوا" أو "لو"، فإنه لا يكون. (Altabari, 2001, 2: 219)

وربما استدلووا على الكلية بعدة أمثلة كما جاء عن مجاهد حين قال: (الخير) في القرآن كله: المال، {حب الخير

لشديد} (8: 100, Alquran, Aladiyat)، {أحببت حب الخير عن ذكر ربي} المال، {فكاتبوهم

إن علمتم فيهم خيراً} (33: 24, Alquran, Alnour)، {إن ترك خيراً} (Alquran, Albakara)،

(180: 2: المال).

قال الخضير: "حرص مجاهد على استقصاء الألفاظ القرآنية مع إيضاح ما دلت عليه وإدراج المتشابه منها في صعيد

واحد سواء اتحد لفظه ومعناه، أو اتحد اللفظ واختلف المعنى، وهو ما يعرف بعلم الأشباه والنظائر أو كليات"

(Alkhoudiri, 1999, 120). ومثل لذلك بـ:

- قول مجاهد: كل ظن في القرآن يقين (إني ظننت) و(وظنوا) وعنه أيضا: كل ظن في القرآن فهو علم

- وقوله: كل شيء في القرآن عسى: فإن عسى من الله واجب.

- وقوله: كل شيء في القرآن (إن) فهو إنكار.

ولقد تميز مجاهد -رحمه الله- بالدقة في التفريق بين المفردات المتشابهة من ذلك ما روي عنه عند قوله سبحانه: (وكان

له ثمر) قال: ما كان في القرآن "ثمر" بالضم فهو المال، وما كان بالفتح فهو النبات. (Alkhoudiri, 1999,

120)

ومثله أبو العالية: فعند قوله سبحانه: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} (Alquran, Alnour,

30: 24 ، قال: كل فرج ذكر حفظه في القرآن فهو من الزنا، إلا هذه {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ

وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} (Alquran, Alnour, 24: 31)، فإنه يعني: الستر.

- قال أبو العالية: (ولهم عذاب أليم) الأليم الموضع في القرآن كله. (Alkhoudiri, 1999, 294)

- وعن حرملة بن عمران، أنه سمع عمر مولى عُقْرَةَ يقول: إذا سمعت الله يقول: كلا فإنما يقول: كذبت. (Altabari,

417: 24, 2001)

4- الدلالة المعجمية:

نستنبط من تفسير السلف كذلك ما يتعلق بالدلالة المعجمية للألفاظ فقد جاء عن ابن زيد، في قوله: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} (Alquran, Alinchikak, 84: 23) قال: المرءُ يُوعِي متاعه وماله هذا في هذا، وهذا في هذا، هكذا يعرف الله ما يوعون من الأعمال، والأعمال السيئة مما تُوعيه قلوبهم، ويجتمع فيها من هذه الأعمال الخير والشر، فالقلوب وعاء هذه الأعمال كلها، الخير والشر، يعلم ما يسرون وما يعلنون، ولقد وَعَى لكم ما لا يدري أحد ما هو من القرآن وغير ذلك، فاتقوا الله وإياكم أن تدخلوا على مكارم هذه الأعمال بعض هذه الخبث ما يفسدها. (Altabari, 2001, 24: 327)

وقال ابن زيد كذلك في قوله: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} (Alquran, Aldhuha, 93: 3) قال: ما قلاك ربك وما أبغضك؛ قال: والقالى: المبعُض. (Altabari, 2001, 24: 485)

وعن ابن عباس ؓ {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} (Alquran, Alkariaa, 101: 9) وهو مثلها، وإنما جعل النار أمّه، لأنها صارت مأواه، كما تؤوي المرأة ابنها، فجعلها إذ لم يكن له مأوى غيرها، بمنزلة أم له. (Altabari, 2001, 24: 576)

المطلب الثاني: الكلام على المعاني:

1- الإيجاز والحذف:

فعن قتادة عند تفسير قوله تعالى: {فبما رحمة من الله لنت لهم} (Alquran, Al Imran, 3:159)، يقول: فبرحمة من الله لنت لهم. يعني إشارة إلى أن الميم زائدة. وفي قوله تعالى: {ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ} (Alquran, 17:3) Alisra, أشار مجاهد إلى حذف حرف النداء فقال: قَالَ: هُوَ عَلَى النداء يَا ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ (Alsouyouti, 5:236) وقال مجاهد في {لَا أَقْسَمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} (Alquran, Alnour, 90:1) (لا): رد عليهم، أقسم بهذا البلد (Alsouyouti, 5:236)، وهنا أيضا نجده قد قدر المنفي ب(لا) غير القسم الموجود.

2- التقديم والتأخير:

وهو ليس موجودا بكثرة في تفسيرهم ككثرة كلامهم في الاشتقاق، وقد وجدت جملة صالحة من ذلك مبثوثة في التفسير أحاول أن أبرز شيئا منها مثال ذلك:

- عن قتادة، قوله {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى} (Alquran, Taha, 20:129) وهذه من مقادير الكلام، يقول: لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى كان لزاما. (Altabari, 2001, 399:18) وقال ابن زيد في قوله {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى} (Alquran, Taha, 129:20) قال: هذا مقدم ومؤخر، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما. (Altabari, 2001, 399:20)

(399: 18 وعن عكرمة، في قوله {عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} (Alquran, Sadd, 38: 26) قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا. (Altabari, 2001, 21: 189) عن قتادة {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ} (Alquran, Aladiyat, 100: 6) قال: هذا في مقادير الكلام، قال: يقول: إن الله لشهيد أن الإنسان لحب الخير لشديد. (Altabari, 2001, 24: 568)

3- الأساليب:

نلاحظ من تفسيرهم اللغوي كذلك إشارة إلى الأساليب من ذلك مسألة "الاستفهام الذي يراد منه التعظيم والتهويل" من تفسير قتادة لقوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} (Alquran, Alinfitar, 82: 17) قال: تعظيما ليوم القيامة، يوم تدان فيه الناس بأعمالهم. (Altabari, 2001, 24: 272) ومثل ذلك ما جاء عن ابن عباس في قوله تعالى: {هل أتاك حديث الغاشية} (Alquran, Alghachia, 88: 1) قال (الغَاشِيَةُ) من أسماء يوم القيامة، عَظَّمَهُ اللهُ، وحَذَّرَهُ عِبَادَهُ. (Altabari, 2001, 24: 381) أي بأسلوب الاستفهام.

المطلب الثالث: بيان معاني الألفاظ:

1- التفريق بين مشتبه الألفاظ القرآنية:

- روى عبد الرزاق (AbdelRazak, 2008, 3 :465) عن عاصم الجحدري , قال: سأل رجل أبا العالِيَةِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} (Alquran, Almaoun, 107 :5) مَا هُوَ؟ فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «هُوَ الَّذِي لَا يَدْرِي عَنْ كَيْفِ انْصَرَفَ؟ عَنْ شَفْعٍ، أَوْ عَنْ وَثْرٍ» فَقَالَ الْحَسَنُ: مَهْ لَيْسَ كَذَلِكَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ: «الَّذِي يَسْهُو عَنْ مِيقَاتِهَا حَتَّى تَفُوتَ».

- في قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاحْشَوُا اللَّهَ وَكُنْتُمْ لَهُمْ خُفْيَةً} (Alquran, Almaida, 5 :4) فمجاهد عندما يتعرض لتفسير "الربانيين" يربطها بكلمة أخرى ويبين النسبة بينهما فيقول: "الربانيون"، الفقهاء العلماء، وهم فوق الأخبار. (Altabari, 2001, 6 :542)

- عن مجاهد: {وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} (Alquran, Altarik, 86 :12) قال: الصدع: مثل المأزم، غير الأودية وغير الجرف. (Altabari, 2001, 24 :361)

وهنا نلاحظ الدقة لأن المأزم هو الطريق بين جبلين وقد يكون واديا أو جرفا أو غير ذلك، فبين رحمه الله أن الصدع هو
مكان كذلك ولم يكن واديا ولا جرفا.

2- البيان اللفظي:

كان البيان اللفظي في تفسير السلف واضحا، وهو أحد طرق البيان عن التفسير، وهذا النوع هو الأصل في البيان عن
المعاني، والمراد به تفسير اللفظ بما يطابقه من لغة العرب، مع ذكر الشواهد إن وجدت، وهذا ما يمكن أن يُصطلح عليه
بالتفسير اللفظي. (Altayar, 2010, 67) ولقد كان لهذا الأسلوب مكانه في تفسير السلف، ومن خلال استقراء

تفسيرهم في تفسير الطبري وغيره، يلاحظ أن لهم في البيان اللغوي للقرآن -على هذا الأسلوب- طريقتين:

الأول: أن يذكروا معنى اللفظة في اللغة دون أن يذكروا ما يدل عليها من شعر أو نثر.

الثاني: أن يذكروا الدليل من لغة العرب في تفسير اللفظة، وهو قسمان:

القسم الأول: أن يستشهدوا بالشعر.

القسم الثاني: أن يستشهدوا بالنثر، وهو نوعان:

النوع الأول: أن ينصوا على لغة القبيلة التي نزل القرآن بلفظها.

النوع الثاني: أن يرجعوا إلى منشور كلامهم دون أن ينصوا على لغة قبيلة بعينها.

وإليك بيان هذه الأقسام مع أمثلتها من تفسير السلف:

أولاً: الطريق الأول: أن يذكر معنى اللفظ في اللغة، دون أن ينصوا على ما يدل عليه من شعر أو نثر.

وهذا هو الأغلب فيما ورد عنهم من تفسيراتهم اللغوية، إذ ينص المفسر منهم على معنى اللفظ، دون أن يستشهد لتفسيره هذا، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- سأل أيوب السخيتاني الحسن عن قوله تعالى: {حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ} (Alquran, Alaraf, 7:189) قال: لو كنت امرءاً عربياً لعرفت إنما هي فاستمرت به. (Altabari, 2001, 13:305) ومن ذلك ما ورد عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن قول الله عز وجل: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} (Alquran, Altakouir, 81:7)، قال: «يُقرن بين الرجل الصالح مع الصالح في الجنة، وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار»، (Altabari, 245:24, 2001 فقلوه: «يقرن»، تفسير لمعنى التزويج في الآية. وهذا هو أصل معنى اللفظ لغوياً. قال ابن فارس: «الزَّاءُ والواوُ والجيمُ: أصلٌ يدلُّ على مقارنةٍ شيءٍ لشيءٍ»، وعن ابن عباسٍ في معنى «لا وَزَرَ» من قوله تعالى: {كَلَّا لَا وَزَرَ} (Alquran, Alkiyama, 75:11) قال: «لا حرز». وفي رواية أخرى عنه: «لا حصن ولا ملجأ». (Altabari, 2001, 24:59) ويحيى الوزر بمعنى: الشيء الذي يلجأ إليه الإنسان من حصن أو جبل أو معقل. وهذا أحد معاني اللفظة في اللغة. قال ابن فارس: «الواوُ والزَّاءُ والزَّاءُ: أصلان صحيحان: أحدهما: الملجأ، والآخر: الثقل في الشيء. الأول: الوزر: الملجأ، قال تعالى: {كَلَّا لَا وَزَرَ} (Alquran, Alkiyama, 75:11) [القيامة: 11]...» (Ibn Faris, 1979, 6:108).

ثانياً: الطريق الثاني: أن يستدلوا لمعنى اللفظة من لغتهم. وذلك قسماً:

القسم الأول: أن يستشهدوا لذلك بالشعر.

"لقد كان الشعر ديوان العرب، إذ فيه مخزون من حضارتهم ولغتهم، وكان السلف يعمدون إلى تلك الأشعار العربية

فيستعينون بها في التفسير، ولم تكن قليلة، وإن كانت من أقل الوارد عنهم في التفسير اللغوي"، (Altayar, 2010,

71) وقد قال مجاهد: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب ولذا فقد ورد عنه ما

يستوعب غريب القرآن وأتى على جملة صالحة منه. (Alkhoudiri, 1999, 131)

"وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: شهدت ابن عباس وهو يسأل عن عريية القرآن فينشد الشعر، وعن سعيد بن

جبير ويوسف بن مهران قالوا: ما نحصي كم سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء من القرآن فيقول: هو كذا وكذا، ما

سمعت الشاعر يقول: كذا وكذا، قال أبو بكر الأنباري: فقد جاء عن الصحابة والتابعين كثير الاحتجاج على غريب

القرآن ومشكله بالشعر، وقال أيضاً: وجاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعيهم رضوان الله عليهم من

الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر ما بين صحة مذهب النحويين في ذلك". (Alkhoudiri,

1999, 696)

ومن الأمثلة الواردة عنهم في ذلك:

- عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَيُنَادِكَ فَطَهُرٌ} (Alquran, Almoudathir, 74: 4) قال: لا تلبسها على

غَدْرَةٍ ولا فَجْرَةٍ، ثم قال: ألا تسمعون قول غيلان بن سلمة:

إني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست، ولا من غدره أتقنع (Altabari, 2001, 23 :10)

وبهذا قال الفراء: «لا تكن غادراً فتدس ثيابك، فإن الغادر دس الثياب» (Ibn Faris, 1979, 3 :428).

- عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ} (Alquran, Alhaj, 22 :36)، قال: «القانع:

السائل الذي يسأل، ثم أنشد قول الشاعر

لَمَّا لَ الْمَرْءُ يُصْلِحُهُ فَيَقِي ... مَعَاقِرُهُ، أَعَفُّ مِنَ الْقُنُوعِ» (Altabari, 2001, 18 :638).

وقد ورد هذا المعنى في اللغة، قال ابن فارس (Ibn Faris, 1979, 5 :32): «الإقناع: الإقبال بالوجه على الشيء

... ومن الباب قنع الرجل يقنع قنوعاً، إذا سأل، قال الله سبحانه: {وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ} (Alquran, Alhaj,

22 :36) فالقانع: السائل، وسمي قانعاً لإقباله على من يسأله، قال:

لَمَّا لَ الْمَرْءُ يُصْلِحُهُ فَيَغْنِي ... مَفَاقِرُهُ، أَعَفُّ مِنَ الْقُنُوعِ»

- وسئل عكرمة عن الزنيم، فقال: «هو ولد الزنا، وتمثل بقول الشاعر:

زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرِفُ مِنْ أَبَوِهِ ... بَغْيُ الْأُمِّ، ذُو حَسَبٍ لَيْمٍ» (Alsouyouti, 8:247).

- عن الضحَّاك في قوله تعالى: {يَا كُؤَابَ وَأَبَارِيقَ وَكَاسٍ مِنْ مَعِينٍ} (Alquran, Alwakiaa, 56 :18)، قال:

«الأكواب: جرار ليس لها عرى. وهي في النبطية: «كوبا»، وإياها عني الأعشى بقوله:

صَرِيفَةً طَيِّبَ طَعْمُهَا لَهَا ... زَبْدٌ بَيْنَ كُؤَبٍ وَدَنٍّ» (Altabari, 2001, 23 :102).

- عن ابن زيد في قوله تعالى: {نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّنَا مَنْونٌ} (Alquran, Alttor, 52:30)، قال: «الموت». قال الشاعر:

تَرَبَّصَ بِهَا رَبُّنَا مَنْونٌ لَعَلَّهَا ... سَيَهْلِكُ عَنْهَا بَعْلُهَا أَوْ تُسَرَّحَ». (Altabari, 2001, 22:479).
ولهم في هذا القسم أمثلة أخرى ، وهي تدلُّ بمجموعها على أنَّ السلف اعتمدوا الشاهد الشعري في التفسير. (Ibnmandhour, 1993, 13:415).

القسم الثاني: أن يستشهدوا بالنثر:

وهو نوعان:

النوع الأول: أن يُنصَّوْا على لغة القبيلة التي نزل القرآن بلفظها
ومن أمثلة ذلك:

- ما ورد أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ قرأ هذه الآية: {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} (Alquran, Alanaam, 6:125) بنصب الراء. قال: وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله ﷺ: «ضَيِّقًا حَرَجًا»، قال صفوان: فقال عمر: أبغوني رجلاً من كِنَانَةٍ، واجعلوه راعي غنم، وليكن مُدْلِجِيًّا. قال: فأتوا به. فقال عمر: يا فتى ما الحرجة؟

قال: الحرجة فينا: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. قال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير». (Altabari, 2001, 12:104) علق محمود شاعر على هذا الأثر: «وهذا خبر عزيز جداً في بيان رواية اللغة وشرحها، وسؤال الأعراب والرعاة عنها».

- عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} (Alquran, Alnajm, 53:61) قال: «هو الغناء، كانوا إذا سَمِعُوا القرآنَ تَغَنَّوْا وَلَعِبُوا، وهي لغة أهل اليمن. قال اليماني: اسمد» (Altabari, 2001, 22:559). كذا ورد عن ابن عباس رضي الله عنه، وقد نقل عنه أهل اللغة هذا المعنى، قال الزبيدي: «سَمَدٌ سُمُودٌ: غَنَى. قال ثعلب: وهي قليلة، وقوله عز وجل: {وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} (Alquran, Alnajm, 53:61) فُسِّرَ بالغناء، وروى عن ابن عباس أنه قال: السُمُودُ: الغناء بلغة حمير. وزاد في الأساس؛ لأن المعنى يرفع رأسه وَيَنْصِبُ صدره، ويقال للقينة: اسمدينا؛ أي: ألهينا بالغناء». (Alzabidi, 8:213)

- عن ابن عباس «أنه أبصر رجلاً يسوق بقرة، فقال: من بعل هذه؟ فدعاه، فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل اليمن، فقال: هي لغة {أَتَدْعُونُ بَعْلًا} (Alquran, Alsafat, 37:125) [الصفات: 125]؛ أي: رباً» (Alsouyouti, 7:119) وورد مثل ذلك عن عكرمة. (Altabari, 2001, 22:479)

وهذا يعني أن معنى {بَعْلًا}: رباً، وقد ورد هذا المعنى في كتب أهل اللغة» (Ibnmandhour, 1993, 11:59)

- عَنْ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمْ نَكُنْ نَدْرِي مَا الْأَرَائِكُ حَتَّى لَقِينَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الْأَرِيكَ عِنْدَهُمْ الْحِجْلَةُ إِذَا كَانَ فِيهَا سَرِيرٌ (Alsouyouti, 7:119). وكذا جاء في معاجم اللغة. (Ibn Faris, 1979, 3:428)

- عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ} (Alquran, Alkiyama, 75:15) قال: «سُتُورُهُ، أَهْلُ الْيَمَنِ يُسَمُّونَ السِّتَرَ: الْمَعْدَارُ». (Alsouyouti, 8:347)

وقد نقل هذا المعنى بعض أهل اللغة، قال ابن دريد: «وَفَسَّرَ قَوْمٌ قَوْلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ} (Alquran, Alkiyama, 75:15) قالوا: السِّتَرُ، لُغَةٌ أَرْدِيَّةٌ، الْوَاحِدُ: مَعْدَارٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

لَمَحَتْ لَمَحَةً كَجَانِبِ قَرْنِ الْ... شَمْسٍ بَيْنَ الْقِرَامِ وَالْمَعْدَارِ.

وَالْقِرَامُ: سِتْرٌ رَقِيقٌ»

(Ibndourayd, 1987, 2:692)

وتتبع الأمثلة الواردة عن السلف في هذا النوع يطول، وهي منشورة في المروني عنهم.

النوع الثاني: أن يرجعوا إلى منشور كلامهم، دون أن ينصوا على لغة قبيلة بعينها.

ومن أمثلة ذلك: ما ورد عن ابن عباس ر في قوله تعالى: {وَتِيَابُكَ فَطَهَّرْ} (Alquran, Almoudathir, 74:4)، قال: «مِنْ الْإِثْمِ، ثُمَّ قَالَ: نَقِيُّ الثِّيَابِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ» (Altabari, 2001, 22:479). والمراد بقوله: «نَقِيُّ

الثَّيَابُ؛ أي: أَنْ فَعَلَهُ فعلٌ محمودٌ. وقد ورد في اللُّغة: «فَلَانٌ ذَنَسُ الثَّيَابِ: إِذَا كَانَ خَبِيثَ الْفَعْلِ وَالْمَذْهَبِ خَبِيثَ الْعَرَضِ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَفِيَّةً ... وَأَوْجُهُهُمْ بَيْضُ الْمَسَافِرِ غَرَانُ». (Ibn Faris, 1979, 3:428)

- عن ابن عباس: «كَنتُ لَا أُدْرِي مَا فَاطَرُ السَّمَاوَاتِ؟ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بئرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتَهَا؛ يَعْنِي: أَنَا ابْتَدَأْتُهَا». (Altabari, 2001, 11:283)

وقد ورد هذا عن بعض أئمة اللُّغة، قال ابن الأعرابي: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ فَطَرَ هَذَا؛ أَي: ابْتَدَأَهُ». (Alazhary, 2001, 13:222)

- عن عِكْرَمَةَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: {يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ} (Alquran, Alkalam, 68:42) قَالَ: إِنَّ الْعَرَبَ كَانُوا إِذَا اشْتَدَّ الْقِتَالُ فِيهِمْ وَالْحَرْبُ وَعَظُمَ الْأَمْرُ فِيهِمْ قَالُوا لَشِدَّةٍ ذَلِكَ: قَدْ كَشَفَتْ الْحَرْبُ عَنْ سَاقٍ فَذَكَرَ اللَّهُ شِدَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِمَا يَعْرِفُونَ.

- ورد عن الحسن البصري في قوله تعالى: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا} (Alquran, Mariam, 19:24) أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ وَاللَّهِ سَرِيًّا [يَعْنِي: عَيْسَى]. فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي الْجَدُولَ: السَّرِيَّ. فَقَالَ: [أَي: الْحَسَنَ]: صَدَقْتَ». (Alsouyouti, 8:255)

وَالسَّرِيُّ بِمَعْنَى: السَّيِّدُ الشَّرِيفُ وَارِدٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، قَالَ نَشْوَانُ الْحَمِيرِي: «وَالسَّرَاةُ: جَمْعُ سَرِيٍّ، وَهُوَ الْفَاضِلُ»

وأما المعنى الآخر للسري، وهو التهر، فقال أبو بكر بن دريد الأزدي: «والسري: التهر، هكذا فسّر في التنزيل»⁽¹⁾.

(Alsouyouti, 5:503)

- قال الحسن: {كَلَّا لَا وَزَرَ} (Alquran, Alkiyama, 75: 11): كانت العرب في الجاهلية إذا خشوا عدوا

قالوا عليكم الوزر: أي عليكم الجبل. (Altabari, 2001, 24: 59)

- عن مجاهد، في قوله: {وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْتَكْنِي} (Alquran, Almoudathir, 74: 6) قال: لا تضعف أن تستكثر

من الخير، قال: تمنن في كلام العرب: تضعف. (Altabari, 2001, 23: 16)

الخاتمة:

من خلال استعراض الباحث واستقرائه لأقوال السلف وخصوصاً تلك التي لها علاقة وطيدة باللغة وعلومها، توصل

الباحث إلى عدة نتائج أهمها:

- أن جملة كبيرة جداً من تفسير الصحابة والتابعين هي من قبيل التفسير اللغوي.

- أن أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين هي الركائز الأولى لعلوم اللغة العربية.

¹ () جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين - بيروت
الطبعة: الأولى، 1987م 725/2

- لاحظ الباحث أن أصحاب المعاجم يأخذون الدلالات المعجمية وتفسير المفردات مما ورد عن الصحابة والتابعين في التفسير، إلا أن بعضهم يشير إلى أقوالهم والبعض الآخر لا.
- تختلف مناهج السلف في التفسير اللغوي، فمنهم الكثير من عرضها ومنهم المقل، وأحيانا يدللون على كلامهم من لغة العرب من شعرها ونثرها، وأحيانا أخرى لا يدللون.
- لا نجد الإطناب في بيان الدليل اللغوي عند الصحابة^{١٢} والتابعين، فقد كان مقصودهم الأكبر هو بيان معنى الآيات.
- جل اختلاف الصحابة والتابعين في تفسيراتهم اللغوية للقرآن إنما هي من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد.
- مع كثرة الإشارات إلى علوم اللغة ومسائلها وأساليبها وتفرعاتها في تفاسير الصحابة والتابعين لا يسع المفسر إلا أن يقف وقفة إجلال وتعظيم لهؤلاء القوم، الذي برعوا في اللغة العربية أيما براعة سواء لأنهم عرب بالسليقة أو لكثرة اجتهادهم في طلبها، ولا يملك الناظر في ذلك إلا أن يسعى جاهدا لدراسة آثارهم، واستخراج الفوائد منها، والبناء عليها في علوم الدين عامة وفي لغة العرب خاصة، وأن يفكر طويلا قبل أن يخالفهم أو يستخرج معاني لم ينصوا عليها فضلا عن أن يخطئهم أو يسفهمهم.

التوصيات:

- تكثيف البحوث حول مناهج السلف في التفسير اللغوي وهذه نماذج على سبيل المثال لا الاستقصاء:

- دراسة منهج التفسير اللغوي عند صحابي أو تابعي.
- دراسة منهج التفسير اللغوي وتطوره في القرون الثلاثة الأولى.
- مقارنة بين مناهج السلف في التفسير اللغوي.
- علاقة التفسير اللغوي عند السلف بعلوم الدين الأخرى كعلاقة التفسير اللغوي للصحابة مع صحة العقيدة.
- أو علاقة التفسير اللغوي عند السلف مع الترجيح الفقهي.
- تدريس مناهج التفسير اللغوي عند السلف في التخصصات والمساقات اللغوية.
- تدريس مناهج التفسير اللغوي عند السلف في التخصصات العقدية لتكون قاعدة في التفسيرات الصحيحة للمسائل العقدية.
- تدريس مناهج التفسير اللغوي عند السلف بشيء من الدقة والغوص في تخصص "التفسير" إذ غالب ما يدرس حول هذا الموضوع إنما هو المنهج العام لتفسيرهم.

References

The Holy Quran–

- Abd al Razak, Tafsir abd alrazak ; Dar al koutoub al ilmiya (1998)
- Abu bakr aljazayiri,G.,M.,A., “Aysar altafasir likalam al alii kabiri”. Almadinat almunawarati Saudi: maktabat aleulum wa lhikam (2003).
- Abu hayaan,M.,Y.,A., “albahralmuhit fi altafsiri”. al'iimmat: majalatshuwnaijtimaeiati
(2014)
- Al'albani,M.,N., “sahih sunan 'abidawad”. Egypt: markaz nur al'iislamli' abhath alquran
Wa lsunat (2008).
- Ibn Arfah, M. M., “Tafsir ibn arfah”, Bairut: Dar Al- Kutub Al- elmiah. (2008)
- Ibn Ashour, "Al-Tahrir Watanwir". Tunisia: Dar Tunisia. (1984).
- Ibn Atiah, A. Gh., “Almuharar alwajiz fi tafsir alkitabalaziz”. Bairut: Dar Al-
KutubAlelmiah.
(1422)
- Ibn Faris, A. F., “Mujma makayis alaughah”. Bairut: Muasasat Al- Risalah. (1406)
- Ibn Hajar, A A, “nouzhat alnadar fi tawdih noukhat alfikr” dimachk: matbaat al
sabah.(2000)
- Ibn Hanbal, A. M., “Musnad al emam ahmad bin hanbl”. Bairut: Muasasat Al-
Risalah. (1421.)

-Ibn Juzai, M. A., "altashil le ulum altanzil". Bairut: Dar Al- Arqam bin Abi Al- Arqam.

.(1416)

-Ibn Manzur, M. M., "Lisan alarab". Bairut: Dar Sadir. (1414)

-Ibn Timiah, A. A., "Majmue alfatawaa". (1423)

-Ibn Timiah, A. A., "Muqadimatan fi usulaltafsir". Libnon, Bairut: Maktabat Al- Hayat.

.(1980)

-Murtadaa Al- Zabydi, M. M. A., "Taj alaurus min jawahiralqamus". Dar Al- Hedayh.

-Al Hifi, A B, Matafaka alayhi aimatou altabiin fi altafsir wawafaka alraiya min khilal tafsir altabari min sourat alfatiha wa albakara, risalat majestir, Al jamiaa al ordoniya.

-Al Khoudiri, M A, Tafsir altabiin aard wadrasa moukarana, saudia : Dar al Watan (1999)

Al- Babi Al- Halabi, Libanon, Bairut: Dar Al- Marifah. (1957.)

- Al-Razi, M. Y. Z., "Mafateih Al-Ghaib". Bairut: Dar Ihyaa Al-Turath.(1999).

-Al- Suyuti, A. K., "Aletqan fi ulumalquran". Al- Hayyah Al- MisriahAlamahlilKetaab.

.(1974)

-Al- Suyuti, A. K., " Aldurr almanthur". Bairut: Dar Al- Fiker. (1993)

-Al- Tyar , M. S. N., "Tafsir juzu amah". Dar Ibn Al- Jawzi. (1430)

- Al- Tyar , M. S. N., "Fusul fi usulaltafsir ". Dar Ibn Al- Jawzi .

- Al- Tyar , M. S. N., “Altafistr al loughaoui ”. Dar Ibn Al- Jawzi .

-Al- Zarkashi, M. A. B., “Alburhan fi ulum alquran”. Dar Ehya Al- Kutub Al- Arabiah, Isaa.

-
- ⁱ () كالصحابة وجملة من التابعين فهذا الحسن البصري نشأ في البادية وترعرع في بيت أم المؤمنين أم سلمة وتعلم على أكابر الصحابة.
- ⁱⁱ () فما عرف عن الحسن أنه لحن بل إن رجلاً قال له يا أبا سعيد: والله ما أراك تلحن فقال: يا ابن أخي سبقت اللحن، وكان رحمه الله يلحن الفرزدق والكميت وذا الرمة، وقال همام بن يحيى: أعربوا الحديث فإن قتادة لم يكن يلحن (Ibn saad, 1988, 7:172).
- ⁱⁱⁱ () هذا مروي عن الشعبي (Aldhahaby, 1985, 4:302).
- ^(iv) قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أحدا أفصح من الحسن والحجاج فقليل له فأيهما أفصح قال الحسن (Aldhahaby, 1985, 4:578)، وروي أن يزيد بن أبان الرقاشي تكلم ثم تكلم الحسن البصري بعد وأعرابيان حاضرا فقال أحدهما لصاحبه كيف رأيت الرجلين؟ فقال: أما الأول فقاص مجيد وأما الآخر فعربي محكك، وذكر الذهبي أنه مع حفظ قتادة وعلمه بالحديث كان رأسا في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، (Aldhahaby, 1985, 5:274).
- ^(v) قال القفطي عن قتادة: تابعي بصري مقدم في علم العربية والعرب علم بأنسابها أيامها لم يأت أحد من ذلك أصح مما أتى عنه في علم العرب، وقال كان الرجلان من بني أمية يجتلفان في البيت من الشعر فيبردان يريدان إلى قتادة فيسألانه عن ذلك، (Alkiftti, 1982, 3:35).
- ^{vi} () في غريب الحديث 16 مرة، في الفائق في غريب الحديث 72 مرة، في المجموع المغني في غريب القرآن والحديث 46 مرة، في النهاية في غريب الحديث 150 مرة، في لسان العرب 261 مرة.

عالمية الخطاب في سورة الفاتحة

Universality of discourse in Surat Al-Fatihah

د/ تماضر الخنساء كبر آدم

Dr.Tamadur Elkhansa Kubur Adam

t.adam@mu.edu.sa

Assistant at Majmaah University

Kingdom Saudi Arabia

2202م

Received 09 | 02 | 2022 – Accepted 12 | 03 | 2022 – Available online 15 | 04 | 2022

Abstract

The importance of studying the issue of women between innate nature in Islam and gender studies. This is because studying the issue of women's gender and the issue of their preparations and functions contrasting with the preparations and functions of men in life is one of the research polemics that have not yet been resolved. The instinct upon which many Islamic legislations were built after the previous studies.

The objectives of the research are represented as following:

First: determining the origin of the human species and the position of each other since the beginning of creation.

Secondly: clarifying the supreme reference of Islam in the legislations related to women in terms of their human entity and their fairness and giving them their rights in full proportion to the Its nature and composition. It followed the inductive-deductive and deductive approach in all aspects of the research. I concluded with the results included in the heart of the research and removed it with a list of sources and references that I benefited from.

Key words: Women, instinct, gender

الملخص

تتمثل أهمية البحث الموسوم بالمرأة بين الفطرة في الإسلام ودراسات النوع الاجتماعي في أن دراسة قضية النوع الاجتماعي للمرأة واستعداداتها ووظائفها المتباينة نظير استعدادات ووظائف الرجل في الحياة من جدليات البحث التي لم تحسم بعد في دراسات النوع لذا أردت تسليط الضوء على جوانب الشرع التي حسمت هذا الجدل والتي لم تتطرق لها تلك الدراسات كجانب الفطرة الذي بنيت عليه كثير من التشريعات الإسلامية ؛ وبعد الرجوع للدراسات السابقة تبين لي بأنه لا توجد دراسة تناولت دراسة النوع مقارنة بالفطرة والتشريع السماوي وتتمثل أهداف البحث في أولا : تحديد أصل النوع الإنساني وموقع كل من الآخر منذ بداية الخلق ، ثانيا : بيان مرجعية الإسلام في التشريعات الخاصة بالمرأة من حيث كيانها الإنساني وإنصافها وإعطائها حقوقها مكتملة متناسبة مع فطرتها وتكوينها . واتبعت المنهج الاستقرائي الاستنتاجي والاستنباطي في كل جوانب البحث وخلصت إلى نتائج أهمها أن المرأة كائن من جنس الرجل في الحلقة مع اختلاف في جانب الفطرة والتكوين العضوي يؤدي وظائف مختلفة عن الرجل من غير مساواة في كل الحيات. وزيلت البحث بقائمة للمصادر والمراجع التي استفدت منها في كتابة البحث.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الفطرة، النوع الاجتماعي

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء؛ والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله رسول الله إلى الناس كافة وخاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

تناول هذا البحث جانبا مهما من الجوانب التي لم تتناولها الدراسات السابقة وهو ارتباط الفطرة الإنسانية بالتشريعات الإسلامية. ومن واقع مؤتمرات السكان التي عقدت كالقاهرة في عام (1994) في الجلسة الرابعة المنعقدة في 10 سبتمبر في الفصل الرابع الذي ينص على: (المساواة بين الجنسين) ومؤتمر بكين للمرأة في العام (1995) الذي لم تخرج نتائجه عن ذات الإطار ولم تتضح الملامح الحقيقية لتناول قضية النوع (Gender) وتمثلت فرضيات هذه الدراسة: هل المساواة بين المرأة بنيت على نوع طبيعة المرأة وفطرتها وتكوينها العضوي؟ وهل حقوق المرأة وواجباتها هي نفس حقوق الرجل؟ وهل حريتها هي نفس حرية الرجل؟ وماهي النتائج المترتبة على مساواة المرأة بالرجل في الواجبات والحقوق وماهي نتائج طبيعة عمل المرأة سلبا وإيجابا. واستعنت بآخر ما توصلت إليه الدراسات السابقة كمقال (الجندرية رؤية شرعية لكمال صبري) ومقال (الأدوار الجندرية بويكيبيديا الموسوعة الحرة) الذي ركز على تمركز أدوار كل من الرجل والمرأة حول تعريف الشخص من المجتمع بكونه ذكر أو أنثى لا من واقع جنسه وكذلك على المجتمع أن يصف الأفعال بكونها ذكورية أو أنثوية... وكذلك رسالة الماجستير (في دراسات النوع الاجتماعي والتنمية) المقدمة من الطالبة: رهام جعفري التي ذكرت فيها تفاصيل الحركة النسوية الفلسطينية على أولويات تنمية النساء في الأراضي الفلسطينية التي بنيت فيها الدراسة على الجوانب التنموية والاقتصادية البحتة وعلى البيئة المحيطة وقد بنت وكالات الأمم المتحدة جميع دراساتها عن المرأة في تحقيق أولوياتها المبنية على تمكين المرأة تمكينا مساويا بالرجل وتحقيق المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة .

وبعد نظرة فاحصة لهذه الدراسات انطلقت مستعينة بالنصوص الأصلية في القرآن الكريم والسنة النبوية ودراستها دراسة تحليلية واتبعت المنهج الاستقرائي الاستنتاجي والوصف والتحليل وتوصلت إلى نتائج مهمة فيما لا يقل عن سبع قضايا أساسية؛ وزيلته بقائمة للمصادر والمراجع.

الفصل الأول: أصل المرأة وقضية النوع

المبحث الأول: أصل المرأة

المطلب الأول: كيف خلقت المرأة

أخبرنا الله تعالى في محكم تنزيله بخلق جنس الإنسان الأول من نوع واحد ونفس واحدة وخلق من هذه النفس زوجها ونشر من هذين الزوجين جنسين ذكورا وإناثا، عن طريق التوالد والتناسل بالأرحام في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) -AL-

Quran 3: 1

وهذه الميزات التي تميز كل من الجنسين تبدي تكافئا مرثيا وغير مرثي في واقع الحياة ولا تعطي أفضلية لأحد النوعين على الآخر من حيث الإنسانية ويأتي التفاضل في الأدوار والمهام والتكاليف كل كما سخر له. ويتجلى ذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) -AL-Quran 49: 13

ومن هذه الآيات يتضح لنا أن المرأة جنس بشري في النوع الإنساني مخلوق من الجنس الأول من غير استقلال وهذا يفضي الى أن الذكر والأنثى جنسين من نوع واحد هو الإنسان. وهذه الحقيقة بدورها تضيء تعديلا على نظرية النشوء التي قال بها تشارلز داروين والتي يقول في نصها (أن الخلية الأولية للأميبيا انقسمت الى خليتين ثم الى خلايا متعددة ظهرت منها الأنواع المختلفة من الكائنات الحية من الحشرات والحيوانات والطيور والزواحف والثدييات ومن ضمنها الإنسان). (Charles Darwin. : d .n)

فالإنسان من الوهلة الأولى مخلوق أرقى من الكائنات الحية جميعها. وفي إشارة الآية (وَحَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) يعني أن الجنس الثاني وهو الأنثى مخلوق من الجنس الأول وهو (الرجل) لذلك خلقهما ليس على طريقة متوازية ليكونا متماثلان في التكوين العضوي وهذا يقودنا الى الوصف الدقيق للعلاقة التكاملية بين الذكر والأنثى.

وهذه الحقيقة بدورها تنفي الحقيقة المزعومة بأن الرجل والمرأة متساويين في كل الأمور.

المطلب الثاني: اختلاف طبيعة المرأة وتكوينها العضوي

لم تكن للمرأة بالجاهلية مكانة تذكر ولا تجد تقاليدهم الجاهلية بد من وأدأها وقتلها. فندد الله سبحانه وتعالى بشنيع صنعهم

في قوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) AL-Quran 81:8-9)

وكانت المرأة عند اليونان والرومان مصدر شؤم وكان الرجل يتشاءم إذا أنجبت امرأته أنثى ويظل وجهه مسوداً متوارياً عن أنظار قومه،

قال تعالى سبحانه: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) Quran 16:58

وفي خضم تلك الأفكار جاء القرآن الكريم يصف المرأة بأنها أحد شطري البنية الإنسانية ويقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) فالأنثى تكمل دور الذكر والاثنان يشكلان أساس المجتمع .

وتنتهي بنا دلالة هذه الآية الى حقيقة مهمة وهي أن المرأة تحدث دورا تكامليا في الحياة ولولا هذا التكامل لما استقامت الحياة الإنسانية.

ونستنتج من هنا أنّ كلاً الأنثى إنسان كامل؛ ليس هناك أي نقص في إنسانيتها وعلى ضوء ذلك فالتفريق بينهما يأتي من الناحية العضوية ويبدأ هذا جليا في كميات الطاقة التي يحتاجها الطفل لمعدل النمو وتقدر المخصصات اليومية من الطاقة energy للطفل قبل العاشرة من العمر بكمية ما يتناوله من الطاقة اللازمة للنمو الطبيعي. وبعد سن العاشرة يبدأ الاختلاف بين الجنسين بالوضوح نظرا لاختلاف سن البلوغ والتطور بينهما. ونستخلص من هذه الحقيقة أن اختلاف المرأة عن الرجل في تكوينها العضوي أمر واقع وحقيقة ماثلة في تاريخ الإنسان.

وتقودنا هذه النتيجة الى دراسة مسألة المساواة بين الرجل في واقع آيات القرآن الكريم والسنة النبوية.

البحث الثاني: المساواة بين الرجل والمرأة في واقع آيات القرآن

المطلب الأول: المساواة بين الرجل والمرأة

فالمرأة كالرجل في حظها من أساسيات الحياة كالعلم مثلاً كما أو نوعاً؛ إذا أخذنا العلم معياراً للتقدم؛ وهناك مميزات وخصائص لكل من الجنسين وفق حكمة الخالق تعالى ليقوم برسائلته في واقع الحياة. وبمنظرة ثاقبة لهذه الخصائص والمميزات نجد أنها بها وحدها يتم حفظ النوع الإنساني ويبقى الكيان البشري متكافئاً ومتزناً في إعمار الأرض، وهذه الخصائص أيضاً تتوافق وتتواءم مع الفطرة السليمة للإنسان وهي من الحقائق التي لا يكاد ينكرها إلا من كان شاذاً في تكوينه الإنساني ومائلاً أو متطرفاً في تكوينه العقلي وهذا لا يعتبر نموذجاً تبني عليه نظريات في واقع الحياة. ويظهر الاتساق والدور التكاملي جلياً في إرادة الله للإنسان بأن يكون خليفة في الأرض وهيئ له من أسباب الاستحلاف في الأرض من العلم والراحة النفسية بسكون النفس إلى خلق من جنسها في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) إلى قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)

الظالمين) AL-Quran 1: 30-35 Tafseer Al- Qur'an AL-AZEEM.ND

وهذه الدراسة تقودنا إلى أنه يجب أن نتناول دراسة ظاهرة النوع أو أي فكرة تتعلق به من المصادر الربانية الأصيلة لمعرفة جوانب التكوين والخلق وواقع المنطق والتاريخ الإنساني، وعدم الأخذ بآراء الأقلية ومن هنا نزلنا إلى التكوينات النفسية للمرأة.

المطلب الثاني: اختلاف التكوين الفطري والعاطفي للمرأة

وبالنظر الى الجوانب الفطرية تختلف مشاعر كل من الرجل والمرأة في الميولات فكل يميل الى ما فطر عليه من جبهة فالرجل الطبيعي يميل الى النجومية في كل الأمور وفي الفروسية والشجاعة والاستبسال في الحروب والكر والفر ويميل بعواطفه للأنثى لا للرجل وفي المقابل فإن المرأة الطبيعية التكوين تميل الى النجومية في الأنوثة والدلال والتميز في مملكتها التي تربي الأجيال الصالحة وتميل بعواطفها الفطرية السليمة الى الرجل لا الى الانثى مثيلتها الا في حالات شاذة وأما في القيم نجدتها سواء بسواء مع الرجل وفي المراتب والمناقب ينجح الرجل الى العلو درجة على المرأة باعتبار مسؤوليته عن صيانة عرضه والحفاظ على شرفها والدفاع عنها وضمها تحت لوائه عند المصائب والشدائد فهذا على سبيل الأمثلة لا الحصر، مما يؤكد حقيقة الرجل والمرأة يختلفان بنية وخصائص ولكنهما من نفس واحد وذوا دور متكامل في حياتهما .

هناك ثمة فارق واضح وجلي بين الرجل والمرأة من النواحي العاطفية فالمرأة تملأها العواطف ولاسيما مع أطفالها ولها روح تجيش بالأنس واللفظ فأودعت حكمة الخالق ذلك فيها لتنسجم مع المسؤولية الملقاة على عاتقها، من حمل وتربية الأطفال التي ترافقها مشاق ومصاعب لا يتحملها الرجل عادة في حين أن الرجل يفقد تلك العواطف الجياشة، لأنه خلق لوظائف أخرى تتطلب لنفسها الغلظة والخشونة لتنسجم مع المسؤوليات التي تقع على عاتقه. فالعواطف الجياشة من جانب إذا تقارنت مع الغلظة والخشونة تصبح الحياة عندهما متزنة ومتناسقة ومتكاملة كما أسلفت في كثير من جوانب البحث.

ولو نظرنا الى مملكة الأرض التي استخلف الله فيها الإنسان لعمارتها نجد الإنسان أفضل الخلائق فيها، وسخرت له الشمس والقمر وجميع مما دب في الأرض.. وقد شملت العناية الإلهية الإنسان لما جعلته أفضل الخلائق في قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي

الرَّحْمَنُ وَالْبَحْرُ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (Quran 17:70 ولا يسعنا في هذا الخضم الا أن نعلن
تكريم الله للمرأة في الإسلام .

الفصل الثاني: تكريم الإسلام للمرأة وصيانة حقوقها في القرآن الكريم

المبحث الأول: المرأة مثل الرجل في الثواب والأجور

المطلب الأول: ثواب المرأة مثل ثواب الرجل

فمن ناحية التكليف والجزاء على الأعمال فإن الله تعالى خاطب المرأة سويًا مع الرجل بخطاب واحد في قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) Quran 16:97

ونجد كذلك نصوص القرآن الكريم في (حرمة قتل نفس المرأة): أنه جعل حرمة الأنثى كحرمة الذكر وإن قتل واحد منهما يعادل

قتل جميع الناس قال تعالى : (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ

.Quran 5:30((32)

وقتل المرأة كقتل الرجل عند الله سواء فمن قتل واحداً منهما فكأنما قتل الناس جميعاً، وهذا تكريم لا يعادله تكريم في قوله تعالى
(وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۖ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ
فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) Quran 5:45

ووصف الله سبحانه من لم يحكم على وفق الآية بأنه ظالم في قوله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
Quran 5:44(44) .

إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يجعل دماء المسلمين في ميزان واحد ويصف ذمة الجميع بأنها ذمة واحدة ويقول: «المسلمون
تتكافئ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»

وأما مشاركة المرأة والرجل في القصاص لا يلزم مشاركتهم في الدية، يتضح جلياً هنا أن المعيار في القصاص غير المعيار في الدية،
فكل من جنى على إنسان يقتض منه باعتبار أن الجاني قتل نفساً فيقتل مقابلها قصاصاً.

وأما الدية فالمعيار في تعيينها هو تحديد الخسارة والضرر المادي الذي يلحق بالأسرة، ولا شك أن خسارة الأسرة بفقد عائلها الرجل هي
أكبر من خسارتها بفقد الأنثى، فلذلك صارت دية المرأة نصف دية الرجل على الرغم من أن المصيبة على حد سواء، وهذا لا يعني
اختلافهما في الإنسانية.

يعتبر الفارق بين المرأة والرجل عضوي وفطري لا من حيث الإنسانية والكيان وهذا الاختلاف أدى بدوره الى الاختلاف في الدور
الذي يؤديه كل من الرجل والمرأة في مجال حياته، وكل نظرة للمرأة تنقص من إنسانيتها أو كيانها البشري فهي نظرة جاهلية ليس لها
مجال في الأديان السماوية ولا في العلم ومجال الحقيقة بل هي شكل من أشكال العنصرية.

ونشير هنا الى بعض حقوق المرأة التي كفلها لها الإسلام وتوضح جلياً في الآتي:

أولاً: حقها في الميراث:

كانت المرأة قبل الإسلام محرومة من أبسط حقوقها حتى ميراثها، بل كانت كالمال تورث للآخرين، فكانت من نصيب الابن الأكبر وكانت لا تستطيع الزواج لنفسها عضلاً أي: منعاً وحبساً من أهل الزوج وفي هذا الجو المفعم بإهدار حقوقها جاء القرآن الكريم منصفاً لها بمنع عضلها وحبسها من أن تفعل في نفسها ما تشاء وبحرية تتماشى مع الأخلاق والسلوك القويم في قول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ ۚ) Quran 3:43 وحدد لها نصيباً بالميراث بصورة عامة كما للرجل نصيب وذكر النص (وَاللِّسَاءُ نَصِيبٌ) ايذاناً بأصالتها في هذا الحق في قوله تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) Quran 3:7. وبذلك كسر حاجز الظلم الذي أحاط بالمرأة بالجاهلية وحال بينها وبين ميراثها في سورة خاصة باسمها وهي سورة النساء الكبرى. فتارة تعادل الذكر في الميراث وأخرى تنقص عنه وثالثة تزيد عليه، حسب ما يقتضي الحال. وما اشتهر بأن ميراث المرأة ينقص عن ميراث الرجل دائماً فليس له مساحة من الحق بل تتراوح فريضتها بين التساوي والنقصان والزيادة كما هو واضح لمن لاحظ الفرائض الإسلامية، إذا كان المورث هو الأب أو الأم (فللذكر مثل حظ الأنثيين)، وفيما إذا كان المورث هو الولد فالأم والأب متساويان... قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۖ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۖ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۖ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۖ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۖ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ۖ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) Quran 3:11.

وإذا تركت المرأة المتوفاة زوجها وابنتها، فالابنة ترث النصف والزوج الربع، فترث الأنثى ضعف ما يرثه الذكر، قال تعالى: (وَلَكُمْ
نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ۖ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ ۖ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا
تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ
امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ
غَيْرِ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ) Quran 3:12

المطلب الثاني: حرية المرأة في ادارة شؤونها المالية:

قال تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ
فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) Quran 3:32

كفل الاسلام للمرأة حرية التصرف في أموالها كما تشاء سواء كانت من كسبها أو هبه أو ارثا. وكذلك كفل لها مهرها عطية من الزوج
وكذلك لو وهبت بطيب نفسها جاز للرجل أخذه شأن كل هبة كان للواهب فيه رضا قال تعالى: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ
طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا) Quran 3:4

والنص القرآني يمنع الزوج من أن يضيق الخناق على زوجته ويسيء معاملتها كي تتنازل عن مهرها قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۚ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ
كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) Quran 3:19

ويؤكد ايضا لو أن الزوج دفع لها مالا كثيرا فليس له الحق في أخذه منها بعد مفارقتها لو اضطر لذلك في قوله تعالى: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ

وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا) Quran 3:21

وبما أن مقابل الحقوق واجبات نرجع هنا الى واجبات المرأة التي تظهر توازنا طبيعيا في حياة الأسرة.

المبحث الثاني: حقوق المرأة وواجباتها

المطلب الأول: حقوق المرأة

فمسؤولية المرأة من القيام بالحضانة وتربية الأطفال وغيرها ليست أمراً سهلاً، ولا تقوم به إلا الأم التي ينبض قلبها بالحنان. تجنبا للعوامل النفسية التي تصاحب تركها لحضانة الأبناء مما تبين من واقع البحوث النفسية التي أجريت في هذا المجال. ويشير القرآن إلى تلك المسؤولية الكبيرة على عاتق المرأة وواجب الرجل حيال هذه المسؤولية من نفقة وكسوة لها ولطفلها مقابل ضعفها في هذه الظروف التي تحتاج فيها من يعينها على المأكل والمشرب والملبس حتى وإن كانت مطلقة منه لم يطالبها الشرع هنا بمسؤوليتها نحو نفسها لأنه من الطبيعي أن لا تقوى على ذلك وهي ترضع طفلا من عصارة مأكلا ومشربا فيضعف بذلك عطائها ولاسيما انشغالها بقضاء حاجيات ابنائها وتحملت هذه المسؤولية في قوله تعالى:

(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۚ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْهِمَا ۖ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِجُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ Quran 1:233.

المطلب الثاني: تكافؤ المرأة والرجل

فكل من الزوجين يسعى في إقامة دعامة الأسرة، وبذلك تكون الزوجة عوناً للزوج، والزوج عوناً لها قال تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ

لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَتْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقوه ۖ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) Quran 1:23

وهذه الدراسة في مجملها تسوقنا بدورها إلى الروابط الاجتماعية في الحياة الإنسانية بين الرجل والمرأة منذ بدأ الخلق فلنأخذ بعض القصص كدراسة في مجملها لكل شرائح المجتمع كقصة الأب الأول والأم الأولى -آدم وحواء عليهما السلام -مثالاً؛ في الخلق الأول وقصة يوسف وموسى عليهما السلام في الجيل الثاني. وقصة مريم بنت عمران عليها السلام خير مثال لامرأة من غير رباط زوجية وموقف النبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما اتهم في أعز رباط زوجي له في حادثة الإفك.

المبحث الثالث: قصة آدم وحواء عليهما السلام ترسم لنا شرعية العلاقات بين الرجل والمرأة

فإن آدم (عليه السلام) مخلوق من الطين؛ وخلقت حواء من نفسه أي: (من جنسه).

فأول شعور بدر لآدم عليه السلام أنه سكن إليها واستأنس بها. وهبطا إلى الأرض جميعاً وأخذوا يبحثان عن بعضهما فتعارفا واجتمعا وتغشاهما وانس لها مجدداً أي: (صارا زوجين كما كانا) وأنجبا أطفالاً وبنين وحفدة عن طريق التزاوج من كل توأمين ينجبانهما ولم يتعرض أحدهما لتوهمه الا عن طريق رباطه المقدس (الزوجية)

خلاصة تفاصيل القصة انه لم يكن لأدم وحواء منازع في علاقتهما من ذكر أو انثى لعدم وجوده. و أن حفظ النوع البشري كان ولا يزال عن طريق هذه العلاقة بين الرجل والمرأة برباط مقدس لا يسمح فيه بالمساس من غيرهما في الإنسان الأول والمجتمع الأول ؛ وهذا يمثل مقياس خط التقدم الإنساني ومدى الحضارة الإنسانية التي دفعته للحفاظ على صيانة مشاعره وبيان نسبه ووضوح نسله وثمة فارق بين الإنسان والحيوان من حيث الحفاظ على المشاعر والغرائز لأن الإنسان كائن بشري مميز.

الفصل الثالث: الزواج الشرعي هو أصل العلاقة بين الرجل والمرأة في كل الديانات السماوية

المبحث الأول: العفاف هو الأصل في العلاقة بين النساء والرجال

المطلب الأول: قصة يوسف عليه السلام نموذجاً

وإذا أخذنا قصة يوسف عليه السلام نموذجاً في الاستدلال على عفاف الرجل من ملخص القصة نستنتج الآتي:

أولاً: كان يوسف نموذجاً للطفل المحبوب و المدلل لدى أبيه (سيدنا يعقوب عليه السلام) وكان صلاحه الذي رآه فيه أبوه منذ نعومة أظفاره والذي أكدته له الرؤيا الصالحة التي رآها فقصصها على أبيه في بداية سورة يوسف عليه السلام وكان لجماله الذي تميز به دوراً في الأخذ بآلباب النسوة في مصره – فتى مدللاً وسيماً ذو أخلاق رفيعة

ثانياً : ذكرت جميع الرسائل انه كان نموذجاً للشباب والفتى الفطن ذو القيم الفاضلة والأخلاق السامية والصبر الجميل الذي لا شك ورثه من أبيه –عليه السلام – ويتجلى ذلك من خلال الظروف المتباينة التي مر بها في سنين حياته من رميه بالبئر في بداية صباه

لتأخذه قوافل التجارة لبيعه لعزیز مصر حيث يتربى بالقصر وتفتتن به سيدة القصر فيأبى الا أن يلبث ثوب العفاف رغم انه كان في عنفوان شبابه فيؤثر السجن من عزیز مصر بتهمة التحرش بزوجه التي كشفت حقيقتها بإقرارها بمراودته واعتصامه لأنه ذا أخلاق نبيلة . ومن هنا يتبدى لنا أن رباط الزوجية رباطا مقدسا على مدى كل ما سبق من العصور .

المطلب الثاني: قصة مريم ابنة عمران عليهما السلام

سمى القرآن الكريم سورة كاملة باسم مريم عليها السلام، وأخذت تفاصيل القصة حيزا واسعا من قصة حملها وولادتها لعيسى عليه السلام، كما جاء الحديث عن مريم عليها السلام في سور: آل عمران، والأنبياء، والتحريم.

وقد جاء في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب) ، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه، ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم قول الله تعالى: (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَكِنَّ الذَّكَرَ كَأَلْأُنْثَىٰ ۖ

وإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)) (Quran 2:36 Sahih Al-Bukhari, 1993)

ويبدو واضحا كان ذلك أثر دعوة والدتها وتعويذتها لها ولذريتها. وتبدأ قصة مريم عليها السلام في القرآن بأنها بعدت عن أهلها في مكان قصي، وأراد الله أن يهيئها لأمر غير معتاد مما جرت عليه عادات البشر، قال تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ

أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا) Quran 19:16

ثم تمضي القصة لتخبرنا أنه سبحانه أرسل إليها جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة رجل: قال تعالى: (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) Quran 19:17، وكان رد فعل الفتاة العذراء على هذا الموقف المفاجيء، أن استعادت بالله ممن فاجأها على غير ميعاد، دليلاً على اخلاقها الرفيعة وعدم قبولها لأي علاقة دون رباط شرعي فخاطبته بقولها: كما جاء في القرآن قال تعالى: (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) Quran 19:18

وكان جواب الملك لها مطمئناً لقلبها، ومهدئاً من روعها قال تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) Quran 19:19، فكان ردها عليها السلام جواباً فطرياً ناظراً إلى الأسباب، فقالت: كما جاء في القرآن قال تعالى: (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) Quran 19:20

غير أن الملك أخبرها بأن الله هو خالق من العدم وإذا أراد شيء لا يعجزه، وأن الأمر بيده وقد يجري الأمر من غير سبب، وأن الغرض من خرق الأسباب أن يبين للناس قدرته سبحانه على كل شيء، وأن يجعل للناس آية يعتبرون بها؛ ليعظموه وليقدروه حق قدره، فقال مخاطباً إياها: قال تعالى: (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) Quran 19:21 وقضى ربك بمجيء عيسى عليه السلام بنفخة من روح القدس من غير أب على مثال آدم — عليه السلام — من الطين بيدي الخالق عز وجل من غير أم ولا أب .

ويتجلى الشاهد في القصة، أخلاق مريم الفاضلة هي التي قادتها إلى طهرها وعدم قبولها بأن يمسه بشر وهي على غير رباط زوجي شرعي مقدس وهي تمثل أرقى نموذج بشري في الطهر والعفاف والأخلاق السامية.

وفي علم الله ما يحدث من أمور كثيرة في هذا العصر وحسماً لأحد هذه القضايا وتحديدا قضية الفرق الجلي والواضح بين المرأة والرجل و بعض القضايا في طي هذه القصة في الرسالة الخاتمة في قوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ

مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَأَلْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (Quran 2:35-3636

قال الطبري في تفسيره فإن معناه: إني جعلت لك يا رب نذرا في بطني محررا لعبادتك. يعني بذلك: حبسته على خدمتك وخدمة قدسك وهي عتيقة من خدمة كل شيء سواك، مفرغة لك خاصة. وكانوا من عاداتهم يحرم الذكور دون الاناث، وكان المحرم يقوم بخدمة المسجد ولا يبرحه (Jami' al-Bayan fe Taaweel Al- Qur'an . 2001

وقوله: (فَتَقَبَّلَ مِنِّي) أي: فتقبل مني ما نذرت لك يا رب

وقوله: (أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يعني: إنك أنت يارب السميع لما أقول وأدعوا والعليم بالنوايا تعلم ما في نفسي وما أريد، لا يخفى عليك سري وجهري. وكان سبب نذر امرأة عمران؛ أن تزوج زكريا وعمران أختين وكانت أم يحيى زوج زكريا وأم مريم زوج عمران ولم تلد زوج عمران حتى كبرت في السن وكانوا من أتقياء القوم فدعت الله بعد أن تحركت نفسها للبنين والولد أن يرزقها ولدا فحملت بمريم ومات زوجها ولما عرفت بحملها نذرت لله خادما لبيت المقدس.

(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ) أي: ولدت حملي الذي نذرت له أنثى

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَأَلْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) Quran 2-36

أي ولدت ما نذرت لك يارب أنثى -والله أعلم بما وضعت من كل خلق- وقالت ذلك اعتذارا لأنها كانت تظن أن المولود ولدا لتحرره لخدمة المسجد.

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) (لأن الذكر هو أقوى على التحمل من الأنثى وأقدر على خدمة المسجد وكانت أم مريم على رجاء أن يهب الله لها ذكراً؛ لأن الأنثى لا تستطيع ذلك - ولما يصيبها من الأذى والضعف أثناء الحيض وأن الأنثى لا تصلح أثناء حيضها ونفاسها دخول الأقصى

(وَإِنِّي سَمِّيْتُهَا مَرْيَمَ)

(وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (وَإِنِّي أَجْعَلُ مَعَاذَهَا وَمَعَاذَ ذَرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بك. وأصل "المعاذ"، الموئل والملجأ والمعتل، فاستجاب الله لها، فأعازها الله وذريتها من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها ولا على ذريتها سبيل. فعن أبي هريرة قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من نفس مولود يولد إلا والشيطان ينال منه تلك الطعنة، ولها يستهل الصبي، إلا ما كان من مريم ابنة عمران، فإنها لما وضعتها قالت: "رب إني أعوذ بك وذريتها من الشيطان الرجيم"، فضرب دوحاً حجاب، فطعن فيه).

قال تعالى: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) Quran 2-37

فتقبل الله نذر أم مريم ونبتت برعاية تامة من الله عز وجل اكراما لوالدتها ولما كان النذر لله فادهشها الله تعالى بالكرم الالهي الذي تنافيه المثلية اذ جعلت والدتها النذر خالصا لله فرزقها رزقا حسنا كفل لها النبات الحسن اذ كان يأتيها رزقها من ثمار الجنة.

ويتجلى لنا هنا القصد بأن الانثى ليست كالرجل في تحمل عناء العمل وصعاب الحياة وهذا الامر في الاسلام وجميع الشرائع السماوية والذي يجب أن يعرفه جميع العالم وولاة الامور والقائمين على أمر النساء.

ويتضح لنا أن مصطلح الجندر (Gender) جاء متأخراً عن هذه الحقائق القرآنية بألف وأربعمائة ونيف عام من الزمان وهي كلمة إنجليزية تنحدر من أصل لاتيني "Genus" تعبر في الغالب عن الاختلاف والتمييز الاجتماعي للجنس، وتصف الأدوار التي تُعزى إلى النساء والرجال في المجتمع الواحد والتي لا يمكن تعيينها بواسطة العوامل البيولوجية، وإنما بواسطة المعطيات الاجتماعية، وهذا لا ينسجم مع الحقائق في واقع البحث مما يشير إلى أن موضوع الجندر لم يعد واضح الملامح.

الخاتمة:

الحمد لله الذي هدى عقولنا لتبصر الحقائق -التي جاء بها الوحي من السماء في التنزيل على النبي الخاتم -وبعد أن تاهت عقولنا حول قضية النوع الإنساني وفي أصل الخلق والاستعدادات والوظائف التي ميز بها الله كل من الذكر والانثى الأمر الذي جعل كثير من المجتمعات تعدل عن حقيقة حقوق المرأة الفطرية والاجتماعية والنفسية إلى غير خطها الذي خطه الله تعالى لها والتي تناسبها وتناسب مع فطرتها وتكوينها إلى الضد من ذلك ونسوا بأن الله هو الخالق وهو أعلم بمن خلق. ومن هذا التحليلات في هذه الدراسة التي ساقطنا إلى أن الرجل والمرأة نوعين مختلفين لجنس واحد هو الإنسان متكافئين في كثير من الأمور وغير متساويين في الفطرة والأعباء والتكاليف.

نتائج البحث

1. أن الإنسان من الوهلة الأولى مخلوق أرقى من الكائنات الحية جميعها وأن المرأة جنس بشري في النوع الإنساني مخلوق من جنس الجمل من غير استقلال وهذا يؤكد حقيقة أن الذكر والأنثى جنسين من نوع واحد هو الإنسان. وهذه الحقيقة بدورها تضيف تعديلا على نظرية النشوء التي قال بها تشارلز داروين والتي يقول في نصها (أن الخلية الأولية للأميبيا انقسمت إلى خليتين ثم إلى خلايا متعددة ظهرت منها الأنواع المختلفة من الكائنات الحية من الحشرات والحيوانات والطيور والزواحف والثدييات ومن ضمنها الإنسان)

(Charles Darwin. : d.n)

2. يتم حفظ النوع الإنساني بالخصائص والمميزات المختلفة التي ميز الله بها كل من الرجل والمرأة بأن يمنح كل من الطرفين بفطره إلى النوع المغاير لا للمثل وأن الكيان البشري متكافئ ومتزن في إعمار الأرض.

3. نظم الإسلام الروابط الاجتماعية في الحياة الإنسانية وخاصة بين الرجل والمرأة حتى وهي في أضعف ظروفها فلا تضطر المرأة إلى أن تتكلف عناء مسؤوليتها ومسؤولية الإنفاق على أبنائها في ظل الظروف الطبيعية والتي يكون بصحتها الرجل زوجا أو أبا أو أخ.

4. ويجب الرجوع في دراسة ظاهرة النوع الإنساني من المصادر الربانية الأصيلة لمعرفة جوانب التكوين والخلق وواقع الإنسان وتاريخه وعدم الرجوع في مثل هذه الدراسة أو أي فكرة تتعلق به من شواذ، وعدم الأخذ بآراء الأقلية التي لا تتجانس في أفكارها مع جين بني جنسها.

5. الفطرة البشرية هي من أهم الأمور التي جعلت الإنسان يقوم بالحفاظ على صيانة مشاعره وبيان نسبه ووضوح نسله وثمة فارق بين الإنسان والحيوان من حيث الحفاظ على المشاعر والغرائز لأن الإنسان كائن بشري مميز ويعتبر الزواج بالرباط الشرعي هو أرقى وأنسب بكرامة الإنسان المكرم

6. أن الفارق بين المرأة والرجل عضوي وفطري لا من حيث الإنسانية والكيان وهما يختلفان بنية وخصائص ولكنهما من نفس واحد وذوا دور متكامل في حياتهما.

7. وكل نظرة للمرأة تنقص من إنسانيتها أو كيانها البشري فهي نظرة جاهلية ليس لها مجال في الأديان السماوية ولا في العلم ومجال الحقيقة بل هي شكل من أشكال العنصرية.

8. الرباط الشرعي المقدس يمثل مقياس خط التقدم الإنساني ويظهر مدى حضارة الإنسان ولا يجوز المساس بهذا الرباط أو العدول إلى ما عداه بحجج لا أساس لها كظهور الشذوذ الجنسي والمثلية وغيرها من الأمور غير طبيعية.

التوصيات

- 1- العمل على تشر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمعرفة الأصيلة التي عالجت قضية النوع والجنس والتعريف بقصة مريم عليها السلام التي تضيف للمعرفة الإنسانية أن الذكر ليس كالأنثى.
- 2- نشر ثقافة الزواج المثالي هو الذي أمر الله به ورتب عليه حقوق الزوجين وواجباتهما وحفظ به حقوق الأبناء وواجباتهم لوالديهما.
3. لا يجب على المرأة أن تتكبد عناء الإنفاق على نفسها وأبنائها إلا إذا دعتها الحاجة والضرورة إلى ذلك وأن الرجل قوام عليها.
4. لا يلتفت في معرفة قضايا النوع إلى شذاذ الآفاق الذين لا يتفقون في كثير من الأمور مع بني جنسهم.
5. تمكين المرأة بواقع فطرتها البشرية ولا تكلف عناء يفوق طاقاتها العضوية.
6. تشجيع الشباب على تعزيز الهوية الإسلامية وأن يستمد سلوكياته من مصادر دينهم الخفيف.
7. تنشئة النشأ على العفاف والطهر باعتبارهما مصدر نبل الإنسان اقتداء بقصة يوسف عليه السلام ومريم بنت عمران كأطهر نموذجين في البشرية

References:

1. (The Collector of the Rulings of the Qur'an) Abu Abdullah Ahmed bin Muhammad bin Abi Bakr Al-Qurtubi; deceased (671 AH); Comprehensive library website
2. Abu al-Hajjaj Mujahid bin Jabr al-Tabi'i al-Makki al-Qurashi al-Makhzumi (died: 104 AH); (Tafsir Mujahid). Comprehensive Library website.
3. (Jami' al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an) by Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amali, Abu Jaafar al-Tabari (died: 310 AH); The first edition (1422 AH - 2001 AD) Comprehensive Library website
4. (Interpretation of the Great Qur'an) by Ismail bin Omar bin Kathir Al-Qurashi Al-Dimashqi Abu Al-Fida Imad Al-Din (died 700 - 774 AH); first edition 1419 AH Website of the comprehensive library
5. (The chapter on interpretation in the meanings of the download) by Alaa Al-Din Ali bin Muhammad bin Ibrahim bin Omar Al-Khazen; deceased (741 AH); Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut; Edition: First, (1415 A.H.) Comprehensive Library website.
6. (Fath al-Bari, Sharh Sahih al-Bukhari) by Ahmad bin Ali bin Hajar Abu al-Fadl al-Asqalani (died 1379). Dar al-Maarifa - Beirut, 1379, number of parts (13)
7. (Al-Musnad Al-Sahih) The chain of narration on Sahih Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Nisaburi by Abu Awana Ya`qub bin Ishaq Al-Saffarini, number of volumes (21).
8. (Manar Al-Sabil fi Sharh Al-Daleel) Ibn Dowayan Ibrahim bin Muhammad bin Salem (died 1353); Seventh Edition 1409 AH-1989AD Number of Parts (2) Comprehensive Library Website
9. (Gender, Concept, Truth and Objective) by Hassan Hussein Al-Wali. Alukah Network on the link: <https://www.alukah.net/culture/0/8554/>

10. (Book of the Theory of Equality in Retribution between Individual and Group in Islamic Sharia and Man-made Laws) by Abu Al-Saud Abdul Aziz Musa. Al-Muhtideen Library: <http://www.al-maktabeh.com//>

11. Gender: Raafat Salah al-Din; Women between gender and empowerment.

12. (Women's Liberation Movements from Equality to Gender) by Muthanna Amin al-Kurdistan: An Islamic Critical Study. At the link

<http://www.lahaonline.com/articles/view/17463.htm>

13. Musa bin Zakir Al-Harbi; Equality fact or claim?

14. (A summary of the book on women's liberation among the modernists) by Dr. Adel bin Hassan Al-Hamad; Women between Islam and modernity: e-book, approved for publication.

<https://abjjadst.blob.core.windows.net/pub/c1ee902b-5912-47e9-80e8-4ca824246ac4.png>

15. (The analogy between concept, truth and purpose) by Dr. Qassem Amin; In his book The Liberation of Women and the Advocates of Liberation in this Era, Alalukah Network.

مظاهر التسامح والسعة في المذهب المالكي

من خلال قاعدة: "مراعاة الخلاف"

**Manifestations of Tolerance and Generosity in the Maliki School
Through the rule: "Taking into account the difference".**

حميد لمغاري

Hamid Lamghari
hamid_lamghari@live.fr

Mohammed bin Zayed University for Human Sciences in the United Arab

Emirates

2022

Received 02 | 03 | 2022 – Accepted 12 | 04 | 2022 – Available online 15 | 04 | 2022

Abstract

The originality of the Maliki school, its jurisprudential richness, its intellectual flexibility, its ability to renew and openness, has made it one of the most popular Islamic schools of thought in the field of specialized academic studies and research, which dealt with it in terms of foundation, modernization, and value. Many Muslims around the world follow it.

Accordingly, this research aims to highlight the manifestations of tolerance and amplitude in the Maliki school of thought through the rule of (consideration of disagreement) which monitors the theoretical foundations and practical aspects that would reveal objectively and practically the extent of tolerance and breadth of the Maliki school, which made it distinguished by spreading a culture of tolerance and openness to the rest of the doctrines, and that By following the inductive method, the analytical method, and the deductive method.

The study concluded with many results, the most important of which are: Disagreement is one of the legitimate branches of religion that is contrary to estrangement and desertion among Muslims.

Keywords: Tolerance. Maliki school of thought. account the dispute.

الملخص

إن أصالة المذهب المالكي وثرأه الفقهي ومرونته الفكرية وقابليته للتجديد والانفتاح قد جعلته من أكثر المذاهب الإسلامية تداولاً على صعيد الدراسات والبحوث الأكاديمية المتخصصة، التي تناولته من نواحي التأسيس والتحديث والقيمة، لذا فهو من الظواهر التشريعية والروحية والمنهجية الأكثر رسوخاً وثباتاً وإشعاعاً واتباعاً في العالم في عصرنا هذا، إذ ينتهجه كثير من المسلمين في ربوع العالم.

وعليه يهدف هذا البحث لإبراز مظاهر التسامح والسعة في المذهب المالكي من خلال قاعدة (مراعاة الخلاف) التي ترصد الأسس النظرية والجوانب العملية التي من شأنها أن تكشف بصفة موضوعية وعملية مدى سماحة وسعة المذهب المالكي، والتي جعلته يتميز بنشر ثقافة التسامح والانفتاح على باقي المذاهب، وذلك من خلال اتباع المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج الاستنباطي.

وقد خلصت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها: الخلاف من فروع الدين المشروعة المنافي للقطيعة والهجر بين المسلمين.

الكلمات المفتاحية: التسامح. المذهب المالكي. مراعاة الخلاف.

مقدمة

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى، المختص بالعز الأحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى، الظاهر لا تخيلا ولا وهما، الباطن تقدسا لا عدما، وسع كل شيء رحمة وعلما، وأسبغ على أوليائه نعماءا، وبعث فيهم رسولا من أنفسهم عربا وعجماء، وأزكاهم محتدا ومنمى، وأرجحهم عقلا وحلما، وأوفرهم علما وفهما وأقواهم يقينا وعزما، وأشدهم بهم رافة ورحما، وزكاه روحا وجسما، وحاشاه عيبا ووصما، وآتاه حكمة وحكما وفتح به أعينا عميا، وقلوبا غلفا وآذانا صما، فأمن به وعززه ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما، وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد،

إن أصالة المذهب المالكي وثرأه الفقهي ومرونته الفكرية وقابليته للتجديد والانفتاح قد جعلته من أكثر المذاهب الإسلامية تداولاً على صعيد الدراسات والبحوث الأكاديمية المتخصصة، التي تناولته من نواحي التأسيس والتحديث والقيمة، لذا فهو من الظواهر التشريعية والروحية والمنهجية الأكثر رسوخاً وثباتاً وإشعاعاً واتباعاً في العالم في عصرنا هذا،

إذ ينتهجه كثير من المسلمين في ربوع العالم، ففي ضوءه يدبرون شؤون مجتمعاتهم وسلوكهم العقدي. كما يعد أكثر مناهج الدين اعتدالا وأمانا.

ولا شك أن الفقهاء والباحثين والعلماء ما فتئوا يتدارسون مقوماته وقضاياهم ومسائله مما خلف دراسات وبحوثا غنية تهتم بالتحام هذا المذهب بالسياقات المعاصرة، كما كان في سالف تاريخه.

ويأتي هذا البحث لإبراز مظاهر التسامح والسعة في المذهب المالكي من خلال قاعدة (مراعاة الخلاف) التي ترصد الأسس النظرية والجوانب العملية التي من شأنها أن تكشف بصفة موضوعية وعملية مدى سماحة وسعة المذهب المالكي من خلال الكشف عن خصوصية هذا المذهب أصولا وفروعا، والتي جعلته يتميز بنشر ثقافة التسامح والانفتاح على باقي المذاهب، وهذه سمة بارزة في المذهب المالكي التي جعلته يتبوأ مراتب متقدمة بين المذاهب، وما يشهد لهذه السمة المتميزة قاعدة مراعاة الخلاف؛ وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي والمنهج التحليلي.

المبحث الأول: مراحل تطور المذهب المالكي وأصوله

المطلب الأول: بيان معنى المذهب

إن المعنى هو روح اللفظ، ولا يمكن إدراج الألفاظ في مواضعها إلا بعد الاطلاع على مضامينها، وكثيرا ما تكتسب الألفاظ بتداولها معان جديدة، فيكون للكلمة معناها المعهود عند اللغويين، ثم يصبح لها معنى اصطلاحي عند طائفة من أهل الاختصاص، وإن من بين هذه الكلمات كلمة المذهب، وحتى تكتمل الرؤية لمذهب الإمام مالك لا بد من بيان معنى كلمة المذهب.

لقد اكتسبت كلمة المذهب فضلا عن معناها اللغوي مضامين جديدة طرأت بسبب استعمالها في أغراض فقهية، فهي كلمة لها معنى لغوي شائع عند أهل اللغة، ومعنى اصطلاحي اكتسب ذبوعه بسبب انتشار المذاهب الفقهية، وآخر عرفي تداولته ألسنة علماء المذهب في إطار مذهبهم (Al-khelaifi, 1993).

أ - المذهب لغة:

جاء في جل معاجم اللغة أن مادة (ذهب) -ذهب يذهب ذهابا وذهوبا فهو ذاهب وذهوب - تعني: سار أو مر، فالذهاب هو السير والمرور، والمذهب مصدر كالذهاب (Alfazrouzabadi, 2005).

والمذهب: المتوضأ، لأنه يذهب إليه، فهو مفعول من الذهاب، وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان إذا ذهب المذهب أبعد" (ibn majah,1:120).

كما يطلق المذهب ويراد به المعتقد الذي يذهب عليه، والطريقة (alfazrouzabadi,2005,1:86).
فيقال فلان يذهب إلى قول الإمام مالك: أي يأخذ به، وذهب مذهب فلان: قصد قصده وطريقته، وذهب في الدين مذهبا: رأى فيه رأيا، وقال السرقسطي: أحدث فيه بدعة (fayoumi,210).

ب - المذهب اصطلاحاً:

لما كان المذهب في اللغة مصدرا ميميا على وزن مفعول، يطلق على حدث الذهاب ومكانه وزمانه، فقد نقل في عرف الاستعمال الفقهي إلى الأحكام التي ذهب إليها إمام من الأئمة، فجعل بذلك اسما للمسائل التي يقولها المجتهد والتي يستخرجها أتباعه من قواعده، ووجه المناسبة بين المنقول عنه والمنقول إليه أن تلك المسالك أشبه بالطرق، ولذلك يعبر به عنها، فيقال طريق مالك وطريقته كما يقال مذهبه (al-khelaifi,1993,43).

قال العدوي: المراد بمذهبه: ما قاله هو وأصحابه على طريقته ونسب إليه مذهباً، لكونه يجري على قواعده وأصله الذي بنى عليه مذهبه (kharshi,1:35). فمن المسلم أن أصحاب مالك قيدوا ما أطلق وخصصوا ما عمم من الآثار (ibn ghanem nafrawi,1995,1:25).

وبناء على ما سبق فإن مذهب مالك عبارة عما ذهب إليه الإمام مالك من الأحكام الاجتهادية، أي التي بذل وسعه في تحصيلها، فالأحكام التي نص الشارع عليها في القرآن أو في السنة لا تعتد من مذهب أحد من المجتهدين (Eldesouky,1:19).

ومن العلماء الذين وفقوا لصياغة تعريف جامع شامل للمذهب المالكي الإمام القرافي الذي انتهى إلى تعريف مذهب الإمام مالك بأنه: " ما اختص به من الأحكام الشرعية الفروعية الاجتهادية، وما اختص به من أسباب الأحكام والشروط والموانع والحجج المثبتة لها (qarafi,1995,195).

المطلب الثاني: مراحل تطور المذهب المالكي وأصوله

أولاً: مراحل تطور المذهب المالكي

بعد معرفة مدلول المذهب على وجه العموم، والمذهب المالكي على وجه الخصوص لا بد وأن هذا الأخير عرف مجموعة من المحطات المهمة في تاريخ تطوره وانتشاره، على المستويين الإصلاحي والعلمي منذ أن أسسه الإمام مالك، والمتتبع للمؤلفات الفقهية يلحظ هذا التطور منهجا ومضمونا.

ولعل أول من تصدر لتدوين التطور المذهبي ومراحل نموه فضيلة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور (Ibn ashour,192)، ويرى أنه: "من منتصف القرن الثاني..، بدأ استقرار المذهب بوضع الأصول، وتمييز العام منها... وتتابع تولد المذهب إلى منتصف القرن الرابع، فكلما قطع واحد منها دور التأصيل على يد مؤسسه ومتخذ أصوله دخل في دور التفريع، وهو دور الاجتهاد المقيد...، فتلاحقت المذاهب على دور التفريع إلى استهلاك القرن الخامس، وهناك تمحض الفقه لعمل جديد وهو عمل التطبيق بتحقيق الصور، وضبط المحامل فكان اجتهاد جديد هو الاجتهاد في المسائل، ثم دخل الفقه في أوائل القرن السادس دور الترجيح، وهو دور اجتهاد نظري، يعتمد درس الأقوال وتمحيصها، والاختيار فيها بالترجيح، والتشهير (Ibrahim ali,2000,32-33).

وفي معرض بيان كلام ابن عاشور ذهب الدكتور محمد إبراهيم علي إلى وضع تقسيم ثلاثي لمراحل التطور الفقهي الذي اعتبره تصورا يغطي تطور المدارس الفقهية بشكل عام، والمالكية على وجه الخصوص، تغطية تفصيلية، توضح طبيعة الإبداع في المنحى الفكري الفقهي في المراحل المختلفة لتطور المذهب وحتى العصر الحاضر (Ibrahim al,2000,33-35).

1- دور النشوء:

وهو مرحلة التأصيل والتأسيس، الفترة التي تبدأ من نشوء المذهب على يد مؤسسه، وتنتهي بنهاية القرن الثالث التي توجت بنبوغ عالم العراق القاضي إسماعيل بن إسحاق (282هـ) مؤلف البسوط، آخر الدواوين ظهورا، وهي مرحلة تميزت بوضع أسس المذهب، وجمع سماعات الإمام والروايات عنه، وتدوينها، وتنظيمها، في مؤلفات معتمدة.

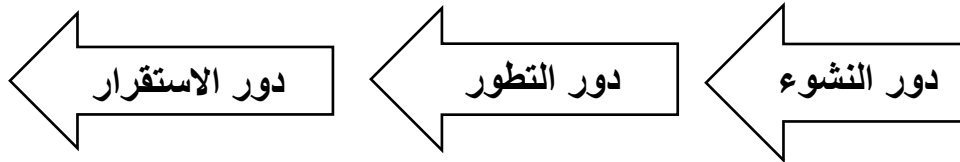
2- دور التطور:

والتطور هنا بمعناه الشامل يندرج تحته مراحل التفرع، والتطبيق، والترجيح. وتبدأ هذه المرحلة تقريبا ببداية القرن الرابع الهجري، وتتسم بظهور نوابغ المالكية الذين فرعوا، وطبقوا، ومن ثم رجحوا، وشهروا. وتنتهي هذه المرحلة بنهاية القرن السادس الهجري، وبداية القرن السابع، أو بوفاة ابن شاس (610/616هـ).

3- دور الاستقرار:

ويبدأ ببداية القرن السابع الهجري تقريبا، أو بظهور مختصر ابن الحاجب الفرعي المعروف بجامع الأمهات، ويستمر إلى العصر الحاضر.

هذه المرحلة عرفت الشروح، والاختصار، والحواشي، والتعليقات، وهي سمة تظهر غالبا بوضوح، حين يصل علماء المذهب إلى قناعة فكرية بأن اجتهادات علماء المذهب السابقين لم تترك مجالا لمزيد من الاجتهاد إلا أن يكون اختيارا، أو اختصارا، أو شرحا.



خطاطة مراحل تطور المذهب المالكي

ثانياً: أصول المذهب المالكي

زيادة على المحطات التاريخية التي عرفها المذهب المالكي، والتي شكلت لبنات متينة في بناء المذهب وتوسعه، توجد صفة أخرى يتسم بها هذا المذهب والتي من خلالها تميز عن باقي المذاهب: وهي سعة أصوله النقلية منها والعقلية والتي تتصف بالسعة والمرونة، مما جعلها تضمن للمذهب صلاحيته لاستيعاب التطورات واحتواء المستجدات (Al-rougy,2003,38).

وبالرغم من أن الإمام مالك لم ينص بشكل مفصل على أصوله التي اعتمد عليها، إلا أنه أجملها فيما نقله عنه ابن وهب، حيث قال: "الحكم الذي يحكم به بين الناس حكمان: ما في كتاب الله، أو أحكمته السنة، فذلك الحكم الواجب، وذلك الصواب. والحكم الذي يجتهد فيه العالم برأيه، فلعله يوفق، وثالث متكلف فما أحراه ألا يوفق" (Al-Qurtubi,1994,1:757).

فهذا النص من الإمام مالك رحمه الله تعالى يدل على أن أصول الاستنباط عنده لا تخلو من أحد نوعين: (dar Al iftaa Kuwait,2015,73).

➤ أصول نصية نقلية.

➤ أصول عقلية اجتهادية.

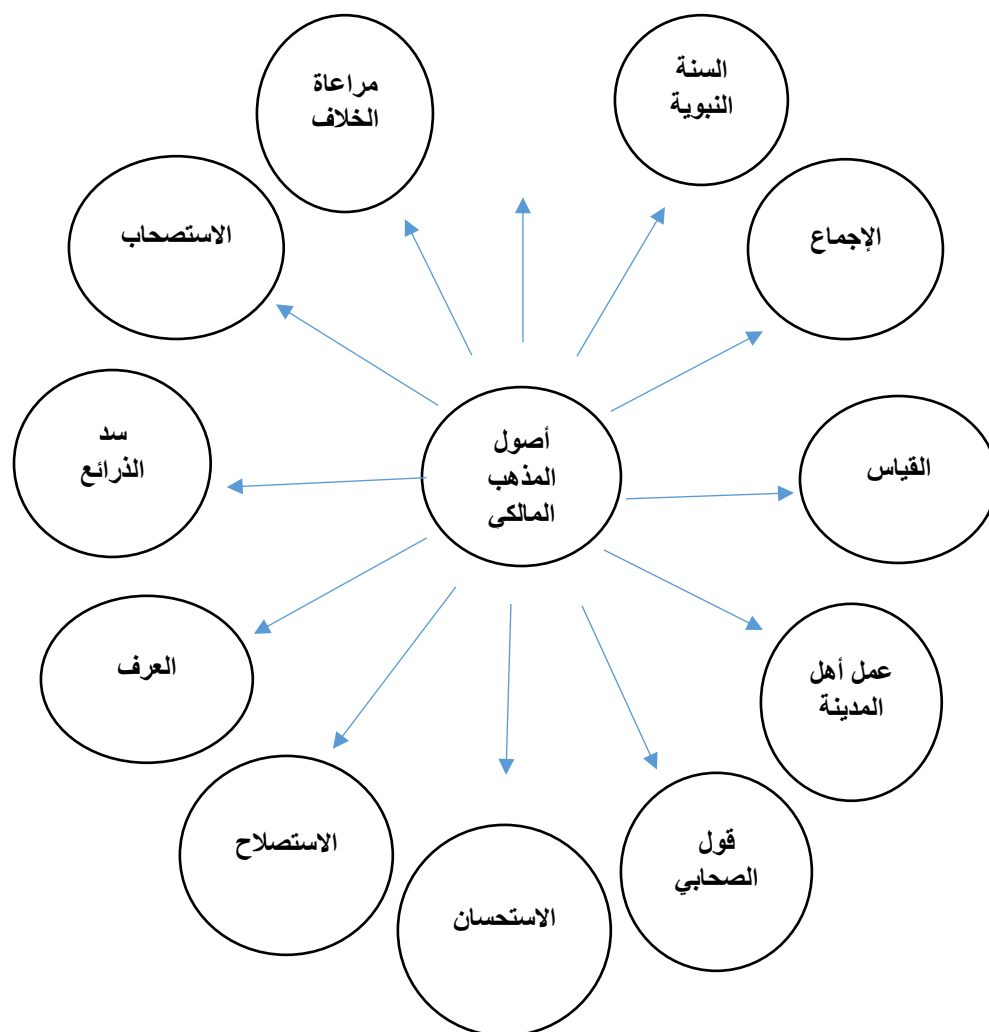
وتجدر الإشارة في سياق الحديث عن الأصول عن اختلاف المالكية في عد الأصول التي اعتمدها الإمام مالك في الأحكام والفتاوى، فمنهم من اقتصر على الأربعة المتفق عليها كالقاضي عياض في ترتيب المدارك 59/1، وزاد عليها ابن العربي في القبس واحدا وهو المصلحة، فجعلها خمسة أصول، وأوصلها الجبيري في التوسط بين مالك وابن القاسم ص 17-20 إلى ثمانية، ومنهم من جعلها ستة عشر أصلا كما في الفواكه الدواني للنفراوي 23/1، والبهجة في شرح التحفة للتسولي 219/2، حيث يقول أحمد بن محمد بن أبي كف رحمه الله:

أدلة المذهب مذهب الأغر ... مالك الإمام ستة عشر

وقال الحجوي في الفكر السامي 455/1: "إنها بلغت عشرين".

وسبب هذا الاختلاف راجع إلى أن بعضهم اقتصر على أهم الأصول وأشهرها، ولم يقصد الاستيعاب والتفصيل، والبعض الآخر قصد الاستيعاب وفصل ما هو مجمل، والله أعلم.

وهذه الأصول على الإجمال هي: (Al-rougy, 2003, 38-39).



المطلب الثالث: المذهب المالكي وثقافة التسامح

إن الذي يتجول في التراث المالكي، ليجد أن المذهب المالكي شكل بأصوله وفروعه تجلياً كبيراً ورافداً هاماً من روافد الثقافة الإسلامية بمختلف أبعادها الدينية والاجتماعية والاقتصادية، حيث شكل منظومة متكاملة لما امتاز به هذا المذهب من أصول تتأسس على مراعاة أحوال الناس في معاشاتهم اليومية ومعالجة القضايا والمشاكل عبر إيجاد الحلول للنوازل والفتاوى الطارئة والمستجدة في أحوال معاشهم ومعادهم.

فالمذهب المالكي كان له دور مهم وفعال في نشر ثقافة التسامح بين المذاهب الأخرى، عبر مجموعة من الخصائص التي امتاز بها عن غيره من المذاهب، وكذا تفرد بهزايا اختص بها وحده.

وفي سياق الحديث عن ثقافة التقريب فقد قام الأستاذ الدكتور العروسي الميزوري بعمل مهم في باب، حيث تناول هذا الموضوع برصد أهم خصائص المذهب المالكي، وكيف ساهم هذا الأخير في ترسيخ مبدأ التكامل والتساند والتسامح مع المذاهب الأخرى. (AL-Arousi,2012).

وعليه يمكن إجمال الخصائص المميزة لهذه الثقافة في النقاط التالية:

أولاً: الأخذ بجميع الأصول

تتميز أصول فقه المذهب المالكي بوجه عام بكثرتها، ومرونتها، وتحقيقها للمصلحة من أقرب طريق، وكذا

ترابطها وتكامل بعضها لبعض، ومزاوجتها بين النقل والعقل، والنص والاجتهاد. (AL-Rougy,2003,42-43).

فكما سبق ذكره في النقطة الثانية من المطلب الثاني فأصول المذهب المالكي واسعة وشاملة لعموم الشريعة

وذلك لكثرتها.

يقول أبو زهرة: " وإن نوع الأصول التي يزيد بها المذهب المالكي على غيره، ومسلكه في الأصول، يجعلانه أكثر

مرونة وأقرب حيوية إلى مصالح الناس، وما يحسون وما يشعرون، وفي البيئات المختلفة، والمنازع المتباينة، والأقاليم المتنائية

التي يشهدها المذهب المالكي، كان التخريج عليه قائماً؛ فكل عالم ومفت يستنبط من الأحكام ما يتفق مع المصلحة،

ويخضع لعرف بلده، تحت ظل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم". (Abu Zahra,478-481).

فكلام أبي زهرة يبرز أن المذهب المالكي هو أكثر المذاهب المتبعة أصولاً وأوفرها أدلة، النقلية منها والاجتهادية، فقد تمسك المالكية بأصول لم يقل بها غيرهم، وقرروا أصولاً نفاها غيرهم تأصيلاً وعملوا بها تفريعاً. (Hatem Bay,2001,45).

وهذه الكثرة في أصول الأدلة كان لها بالغ الأثر في التفرع الفقهي والتخريج المذهبي، ذلك أن تنوع أصول الاحتجاج، واختلاف أدلة الاستنباط، مما يمنح المجتهد أن يكون في فتواه أقرب إلى الصلاح، وأدنى إلى تحقيق العدل. قال أبو زهرة: "فكانت كثرة الأدلة... من شأنها أن تعلو بذلك المذهب، لا أن تخفضه، ومن شأنها أن تجعله مرناً في التطبيق، فلا تضيقه". (Hatem Bay,2001,45).

ثانياً: مواءمة العقل والنقل

من الخصائص المهمة في ثقافة التسامح والتقارب والمميزة للمذهب المالكي موافقه بين العقل والنقل، فإذا كانت مصادر التشريع الأولى هي القرآن والسنة المشرفة، فهذا لا يعني أن نحصرها في مجرد نصوص فقط، بل يجب أن نوظفها، لأن الاستدلال بالمنقول لا بد فيه من النظر العقلي لاستخلاص مضامين النقل ومدلولاته، مما يدل على أن مالكا وازن

بين أمرين اثنين؛ هما النقل في ثبوته وصحته، وبين ميزان العقل المرتبط بالواقعية، وهي مسارات تبرز عمق واقعية المذهب المالكي متنا ومنهجاً دالاً ومدلولاً. (AL-dayfawi,11).

فالمدرسة المالكية جمعت بين أصول مدرسة أهل الأثر (Hatem Bay,2001,50)، وأصول مدرسة أهل الرأي، أما الأولى فمنازلتها عند مالك وأتباعه بالمحل الأعلى، فإمام المذهب إمام أهل الحجاز موطن أهل الحديث، وموطؤه كتاب أثر وحديث. أما الثانية متجسدة في أن الإمام مالك كان له حظ وافر في مسلك الرأي، حيث لم يكتف رحمه الله تعالى بالقياس، بل جاوزه ليشمل الأصول الأخرى (الاستحسان والمصلحة المرسلّة وسد الذرائع)، وكل هذه الأصول عنده من الاجتهاد بالرأي.

وبذلك فالإمام مالك قبل النقل، وخصوصاً الحديث النبوي، لكن بضوابط ومقاييس، واستخدماً للعقل والاجتهاد، وفقاً لأصول وضعها العلماء للاجتهاد والتعامل مع النصوص.

ثالثا: مركزية المصلحة

تعتبر المصلحة القاسم المشترك بين الأصول الاجتهادية للمذهب المالكي، فغالبية الأصول من قياس ومصلحة مرسله واستحسان وسد للذرائع ومراعاة للخلاف، هي تدور بشكل أو بآخر حول المصلحة، قال أبو زهرة في معرض بيان هذه الخاصية: "إن أصل المصالح الذي أخذ به مالك، وسيطر على أكثر فقه الرأي عنده، حتى أصبح ذلك الأصل عنوانه، وميسمه الذي اتسم به... وإنك لو فتشت في فروع ذلك المذهب... لوجدت أن المصلحة كانت هي الحكم المرضي في كل هذه الفروع، سواء ألبست المصلحة لبوس القياس وحملت اسمه، أم ظهرت في ثوب الاستحسان وحملت عنوانه، أم كانت مصلحة مرسله لا تحمل غير اسمها، ولا تأخذ غير عنوانها (Abu Zahra, 479)." .

وهذا القاضي عياض في سياق ترجيحه لمذهب مالك رحمه الله من طريق الاعتبار والنظر، جعل البعد المصلحي من أهم الاعتبارات التي يرجع إليها، قال رحمه الله تعالى "الاعتبار الثالث: يحتاج إلى تأمل شديد، وقلب سليم من التعصب شهيد، وهو الالتفاف إلى قواعد الشريعة ومجامعها، وفهم الحكمة المقصودة بها من شارعها" (AL-Qadi 1981-1983, 1: 92). (Ayyad, 1981-1983, 1: 92).

ومراعاة المصلحة في المذهب المالكي ليس مجرد الأخذ بالمصلحة المرسله حيث لا نص ولا قياس بل هو استحضار المصلحة عند فهم النص وعند إجراء القياس، فضلا عن حالات إعمال المصلحة المرسله، (Raissouni,1995,81).

رابعاً: الاجتهاد من خلال المقاصد

إذا كان المذهب المالكي يراعي الجانب المصلحي، فإن البعد المقصدي هو الآخر شكل أولوية أساسية في العملية الاجتهادية، فجعل أصوله اعتمدت على منهج يراعي المقاصد ومآلات الأفعال، فمثلاً أصل سد الذرائع كان قاعدة أساسية في جلب المصالح ودرء المفاسد.

وهذا المعنى هو ما أكدته الأستاذ محمد هشام البرهاني حيث قال: " سد الذرائع من أصول الاستنباط الفقهي المهمة عند المالكية، وليس في المذاهب الفقهية الأربعة المنتشرة، ولا في غيرها من بلغ في أخذه بهذا الأصل مبلغ المذهب المالكي، وبهذا كان العمل بالمصلحة المرسله أصلاً مستقلاً من أصول التشريع عنده، وليس سد الذرائع إلا تطبيقاً عملياً من تطبيقات العمل بالمصلحة، ولذلك عدوه ضمن أصولهم وأعملوه في استنباطهم وتخريجاتهم في جميع أبواب الفقه،

وفي كثير من المسائل العلمية وبالغوا في ذلك حتى عد بعض الفقهاء سد الذرائع من خصوصيات مذهب إمام دار
الهجرة" (Burhani,1986,615).

ولبيان أهمية البعد المقصدي للمذهب، فقد أورده الشيخ الدكتور محمد التاويل رحمه الله تعالى كمحور أساسي
من محاور خصوصية المذهب المالكي على الصعيد الفقهي، حيث اعتبره من المذاهب الفقهية الأعمق فهما لروح الشريعة
الإسلامية ومقاصدها، وأبعدها نظرا واعتبارا لمآلها، وأكثرها التزاما بمراعاة حكمها وأسرارها عند استنباط الأحكام من
نصوصها، وتفريع الفروع عليها، وخاصة فيما يتعلق بالضروريات الخمس: الدين والنفس والمال والعرض والعقل (-AL-
(Taweel,2015,55).

المبحث الثاني: أصل مراعاة الخلاف ودوره في تسامح المذهب المالكي مع المذاهب الأخرى.

إذا كان الخلاف الفقهي من الأبواب الواسعة في الفتوى والاستنباط، فإن من أشهر القواعد في هذا الباب
قاعدة مراعاة الخلاف المبنية أساسا على احترام الرأي الآخر، وقبول قول المخالف.

ويعتبر المالكية من أكثر المذاهب أخذاً به، بدليل أن جل كتبهم في الأصول أو الفروع لا تكاد تخلو من ذكر هذا الأصل، بحيث اشتهروا به واعتمدوه في تعليل الأحكام وتخريج الفروع.

المطلب الأول: تعريف مراعاة الخلاف

أولاً: معنى مراعاة الخلاف لغة:

تطلق المراعاة في اللغة ويراد بها معان أهمها:

الحفظ: قال الراغب: "الرعي في الأصل: حفظ الحيوان، إما بغذائه الحافظ لحياته، وإما بذب العدو عنه. يقال: رعيته، أي: حفظته، وأرعيته: جعلت له ما يرعى. والرعي: ما يرعاه، والمرعى: موضع الرعي، وجعل الرعي والرعاء للحفظ والسياسة. قال تعالى: {فما رعوها حق رعايتها} (AL-Quran, 57: 27)"، (Isfahani, 1991, 1: 357).

المراقبة والاعتبار: قال ابن منظور: يقال: راعيت فلاناً مراعاة ورعاء إذا راقبته وتأملت فعله. وراعت الأمر:

نظرت لإلام يصير. وراعيته: لاحظته. وراعيته: من مراعاة الحقوق (Ibn Manzur, 1993, 14: 327).

ولكن أقربها إلى المعنى الاصطلاحي هو المعنى الثاني، حيث أن المجتهد يأخذ بعين الاعتبار رأي مجتهد آخر.

قال الرصاع: "الرعي معناه اعتبار الشيء كما تقول راعي فلان فلانا معناه اعتبره وقام له بما يناسبه" (AL-

.(Ressaa,1931,138

أما التعريف اللغوي لمصطلح الخلاف فقال عنه ابن فارس: (خلف) الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة:

أحدهما أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير (Ibn Faris,1979,2:210).

وفسر بعضهم الخلاف لغة بالمضادة (Ibn manzur,1993,9:90).

وفي مفردات الراغب: "والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله،

والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول

قد يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة" (Isfahani,1991,1:294).

ثانيا: معنى مراعاة الخلاف اصطلاحا:

كل تعريفات مراعاة الخلاف المصاغة في كتب المالكية متقاربة، وأهمهما التعاريف التالية:

الأول: تعريف الشيخ محمد بن عبد السلام قال: " إعطاء كل من الدليلين ما يقتضيه من الحكم مع وجود

المعارض " (AL-Ressaa.1931,1:183).

الثاني: تعريف ابن عرفة: قال: " إعمال دليل في لازم مدلوله الذي أعمل في نقيضه دليل آخر " (AL-

Ressaa,1931,1:177).

الثالث: تعريف الإمام الشاطبي حيث قال: " إعطاء كل واحد منهما ما يقتضيه الآخر أو بعض ما يقتضيه

هو معنى مراعاة الخلاف " (AL-Shatby,1997,5:107).

انطلاقا من تعريفات الفقهاء السابقة يتضح أن مراعاة الخلاف هو إعمال المجتهد دليل خصمه، ولكن الذي

صور معنى مراعاة الخلاف بشكل موسع هو الإمام الشاطبي حيث جعلها إعادة نظر من المجتهد في الحكم بعد الوقوع

لما يترتب عليه من آثار وإشكالات تستدعي نظرا جديدا، يأخذ بعين الاعتبار دليل المخالف، فيبني الأمر الواقع على

مقتضاه أو بعض مقتضاه، وإن كان مرجوحاً في أصل نظره، إلا أنه لما وقع الأمر على وفقه روعي جانب آثار الفعل وما يترتب عليه، فتجدد الاجتهاد بنظر جديد وأدلة أخرى.

ثالثاً: الفرق بين مراعاة الخلاف والخروج من الخلاف:

في باب الخلاف الفقهي يخلط الباحثون بين قاعدتين ولكل منهما استعمالها الخاص بها وهما:

✓ قاعدة مراعاة الخلاف

✓ قاعدة الخروج من الخلاف

فالأولى قد سبق ذكرها في تعريف الإمام الشاطبي، والثانية معروفة ومشروعة عند عامة المذاهب وقد يصطلح عليها مسمى مراعاة الخلاف قبل الوقوع أو الخروج من الخلاف ابتداءً، والتي هي عبارة عن الأخذ ببعض أثر الدليل إذا كان لا يعود بالنقض على الدليل، وذلك بالعمل بمقتضى دليله على سبيل النذب إن كان يقول بالوجوب أو الترك على سبيل الكراهة إن كان يقول بالحرمة، وذلك خروج من الخلاف احتياطاً للدين واتقاء للشبهة.

فالمالكية يفرقون بينهما للأوجه التالية:

1- أن الخروج من الخلاف هو من القواعد الفقهية، لذلك لم يذكره أحد إلا ضمن القواعد الفقهية، أما مراعاة الخلاف بمعناها الخاص عند المالكية فتصنف ضمن مباحث الأصول لا الفقه.

2- أن الخروج من الخلاف مستحب كما صرح به الزركشي وغيره، ولم يقل أحد بوجوبه، أما مراعاة الخلاف بمعناها الخاص عند المالكية فقد قالوا بوجوب العمل بها.

3- أن الخروج من الخلاف مسلك شرعي ذو اعتبار شخصي... وليس تشريعاً إلزامياً، أما مراعاة الخلاف بمعناها الخاص عند المالكية فهي مسلك تشريعي إلزامي (Belka,2003,269).

المطلب الثاني: مراعاة الخلاف وتسامح المذهب المالكي

لبيان أهمية أصل مراعاة الخلاف ودوره في تسامح المذهب مع المذاهب الأخرى نسوق مثالا تطبيقيا يعكس هذه الأهمية وهذا الدور، والمتمثل في نكاح الشغار (abassa,2014,74-76).

فنكاح الشغار هو:

أن يقول فيه الرجل مثلاً: "زوجني ابنتك على أن أزوجك ابنتي، ولا مهر بيننا".

فالمعروف في المذهب المالكي أن حكم هذا النكاح هو الفسخ وثبوت الإرث بين الزوجين إذا مات أحدهما، مع أن الأصل العام عند الإمام مالك هو أنه لا توارث ما دام الفسخ ثابتاً لكنه راعى خلاف القائلين بعدم فسخه، فأخذ بدليل المخالف في لازم مدلوله (الأثر المترتب عن ذلك الحكم المستند إلى الدليل) - وهو ثبوت الإرث في هذا المثال - وأخذ بدليله الذي يترتب عليه الفسخ، وذلك جمع بين أمرين: إعمال دليله في الحكم (الفسخ)، وإعمال دليل المخالف في لازم مدلوله (ثبوت الإرث) (AL-Tesouly.1998,1:21).

يقول الإمام مالك رحمه الله: النكاح فاسد لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه، فيفسخ قبل الدخول بغير طلاق، أما لو بنى الزوج بأهله فإنه يفسخ بطلاق ويقع به الميراث بين المتزوجين ويثبت به النسب. بينما يقول مخالفه في هذا المثال أبو حنيفة رحمه الله: النكاح فاسد لكنني أمضيه بمهر المثل، فإذا أعطى الزوج المهر كان نكاحه صحيحاً.

فدليل الإمام مالك رحمه الله هو حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا شغار في الإسلام" (Imam muslim.2:1035)، وهو نهي صريح عن هذا النوع من النكاح، ومدلول هذا الدليل هو فسخ هذا النكاح بغير طلاق؛ لأن القاعدة تقول: "النهي يقتضي الفساد"؛ ولأن الأصل في الطلاق أن يقع على

نكاح صحيح. ولازم هذا المدلول هو ألا يكون بين الزوجين ميراث لو قدر ومات أحدهما قبل إدراك نكاحهما بالفسخ
(Imam malik,1994,2:98).

أما دليل أبي حنيفة رحمه الله فهو أن الحديث يفيد الكراهة لا الحرمة، وعلى فرض تسليم إفادته الحرمة فإنه ليس
كل منهي فاسداً، ثم يقول: بإيجابنا لمهر المثل ينقلب هذا النكاح صحيحاً.
كما علل الحنفية ذلك بأن هذا النكاح مؤبد أدخل فيه شرط فاسد، والشروط الفاسدة لا تبطل العقد، وإنما
يلغى الشرط ويصحح العقد... إلى غير ذلك من وجوه الاستدلال.

ومدلول دليل الأحناف تصحيح هذا النكاح وعدم فسخه، ولازم هذا المدلول وقوع الميراث بين الزوجين.
فأعمل الإمام مالك دليله هو في مدلوله، فقال بفسخ هذا النكاح، وأعمل دليل الإمام أبي حنيفة في لازم
مدلوله - أي مدلول دليل الحنفية - فقال بثبوت الميراث بين الزوجين. والجاري على دليل الإمام مالك رحمه الله في
تحريم نكاح الشغار هو فسخه أبداً بغير طلاق ولا ميراث، لكنه جرى على دليله في الفسخ وخالفه في صفة الفسخ في
حال الدخول فجعله طلاقاً واحدة، كما خالفه أيضاً في الميراث به، فكأنه اعتبر نكاح الشغار نكاحاً صحيحاً في بعض

الأحكام ثم اعتبره في أحكام أخرى كالعدم لا أثر له (AL-Ressaa,1931,1:175). وهذا معنى قول المالكية: "مراعاة الخلاف إعطاء كل واحد من الدليلين حكمه أو بعض ما يقتضيه"

يتضح من المثال السابق أن المذهب المالكي قد انفتح على المذهب الحنفي في إطار فقهي علمي يحترم المخالف، ولا يعتقد بامتلاك الحقيقة وأن غيره ليس على شيء من الحق، وذلك بالابتعاد عن خطاب الانغلاق (Ghaoush, 2013).

ولعل الفكر المالكي كان سباقا لنشر ثقافة الانفتاح والتسامح مع المخالف، بوضع أصول علمية لفقه الاختلاف، وإبراز خاصية التعددية في الفقه الإسلامي على جميع الأصعدة، من قبيل قاعدة مراعاة الخلاف التي عمل بها فقهاء المالكية، وطبقوها في استنباطهم الفقهي الاجتهادي، دون اتهام المخالف بالضلال، وإنما كان شعارهم القول بالمأثور: "مذهبنا صواب يحتمل الخطأ، ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب".

الخاتمة

بعد إتمام البحث بتوفيق من الله تعالى، نخلص إلى أهم النتائج التي تم التوصل إليها وهي على النحو التالي:

- 1- للمذهب المالكي ثقافة قائمة الذات في التسامح مع المذاهب الأخرى، أخذًا بجميع الأصول، ومواءمة بين العقل والنقل، وإعمالًا للمقاصد بجعل المصلحة محورًا مركزيًا في جل الاجتهادات.
- 2- الخلاف من فروع الدين المشروعة المنافي للقطيعة والهجر بين المسلمين، بل هو رحمة وسعة للأمة.
- 3- أصل مراعاة الخلاف من الأدلة التي برع المذهب المالكي في استخدامها وجعلها من المرجحات في كثير من المسائل الخلافية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

References

The Noble Qur'an with the narration of Warsh on the authority of Nafi

- 1- Abadi, Fayrouz. (1426 AH/2005 AD). Ocean Dictionary (8th edition). Investigation: Heritage Investigation Office at Al-Resala Foundation. Beirut: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution.
- 2- Raghīb Al-Isfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad. (1412 AH). Vocabulary in the strange Qur'an (I.1). Investigation: Safwan Adnan Daoudi. Damascus, Beirut: Dar Al-Qalam, Al-Shamiya House.
- 3- Al-Ruki, Muhammad. (1424 AH / 2003 AD). Morocco owners... why? Publications of the Moroccan Ministry of Awqaf and Islamic Affairs.
- 4- Raissouni, Ahmed. (1416 AH / 1995 AD). The Theory of Purposes according to Imam Al-Shatibi (vol. 4). International Institute of Islamic Thought.
- 5- Al-Shatby, Ibrahim bin Musa bin Muhammad Al-Lakhmi Al-Gharnati. (1417 AH / 1997 AD). Approvals (i.1). Investigation: Abu Ubaidah Mashhour bin Hassan Al Salman. Ibn Affan House.
- 6- Al-Saedi, Hamad. (1432 AH / 2011 AD). The reasons for the differences of jurists in the branches of jurisprudence (i.1). Medina: The Islamic University.

- 7- Al-Dhifawi, Al-Sassi bin Muhammad. (n. d). Al-Maliki Ijtihad between the Transmission Authority and the Limits of Reason (without edition). Believers Without Borders Foundation for Studies and Research.
- 8- Ali, Muhammad Ibrahim. (1421 AH / 2000 AD). The terminology of doctrine according to the Malikis (i. 1).
- 9- Iyad, Abi Al-Fadl Al-Qadi bin Musa Al-Yahsabi. (1981-1983). Arranging perceptions and approximating pathways (i.1). Investigation: Said Arab. Muhammadiyah, Morocco: Fadala Press.
- 10- Ghaush, Ahmed. (2013). The Malikis and Rooting the Recognition of Doctrinal Difference: Taking into account the dispute as a model. Journal of the Revival of the Muhammadiyah Association of Scholars in Morocco.
- 11- Al-Fayoumi, Ahmed bin Muhammad bin Ali. (n. d). The Lighting Lamp in Gharib al-Sharh al-Kabir (without edition). Beirut: Scientific Library.
- 12- Ibn Anas, Imam Malik. (1415 AH / 1994 AD). The Code (i.1). Scientific Book House.
- 13- Al-Qarafi, Abi Al-Abbas Shihab Al-Din Ahmed bin Idris bin Abdul Rahman Al-Maliki. (1416 AH / 1995 AD). Judgment in distinguishing fatwas from rulings and the actions of the judge and the imam (I.2). Beirut: Dar Al-Bashaer Islamic Printing, Publishing and Distribution.

- 14- Al-Nafrawi, Ahmed bin Ghanem bin Salem bin Muhanna Shihab Al-Din. (1415 AH / 1995 AD). Fruits Al-Dawani on the letter of Ibn Abi Zaid Al-Qayrawani (without edition). House of thought.
- 15- Scientific Research Unit in the Ifta Department - Kuwait. (1436 AH / 2015 AD). The four schools of jurisprudence - their imams - their phases - their origins - their effects (i. 1).
- 16- Ibn Ashour, Muhammad Al-Fadil. (n. d). Flags of Islamic thought in the history of the Arab Maghreb (without edition).
- 17- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram bin Ali Abu Al-Fadl Jamal Al-Din. (1414 AH). Lisan Al Arab (I.3). Beirut: Dar Sader.
- 18- Bay, Hatem. (1432 AH / 2001 AD). The jurisprudential principles on which the Maliki school is based (i. 1). Islamic Awareness Magazine.
- 19- Belka, Elias. (1424 AH / 2003 AD). Precaution, its truth, authority, provisions and controls (i.1).
- 20- Al-Taweel, Muhammad. (2015). Characteristics of the Maliki school of thought (i.1). Fez, Morocco: Info-Brant Press.
- 21- Al-Khelaifi, Abdulaziz bin Saleh. (1414 AH / 1993 AD). The jurisprudential difference in the Maliki school of thought, its terms and causes (i.1).

22- Al-Desouki, Muhammad bin Ahmed bin Arafa. (n. d). Al-Desouki's footnote to the Great Commentary (without edition). House of thought.